مجنون ليلى

تأليف

احمد شوقي بك

مطبعة مصر ١٩١١/٣١/١٠٠٠٠

الى صاحب السمو الملكى

الأمير فاروق ولى عهد الدولة المصرية

فاروقُ يا بنَ خيرِ أبْ ... وأرفعَ اسمٍ فى العرب
أهدى اليك والى ... أبائِ حيلِك النجُبْ
ومَنْ يلى حيلَك مِن ... نَسْءِ العدِ القَطْنِ الأرِبْ
الكافلين السلَ مِن ... مَنبعه الى المَصَبْ
الطائرينَ كالسّمو ... رِ لدّائرينَ كالشهُبْ
المالئينَ المُلْكَ من ... كتائبٍ ومن كُتُبْ
روايهَ من خُلُقٍ ... مُهَذَّبٍ ومن أدبْ
يانعا السهلُ الى ... بدائعِ الفُصحَى سَبَبْ
تُمثِّلُ اليدَ على ... عهدِ اميّةَ النجَبْ
ولمحةً من الحِجا ... رِ وهو فى عصرِ الذهبْ
فى حاهليّةٍ على ... نظمٍ من الخُلُق عَجَبْ

تَفيضُ من بُطولة ومن قوافٍ وخُطَبْ
ألبَسها « مُحَمَّدٌ » ثوبَ الحصارة القشِبْ
أصلح من بُنيانِها وشدّه من الطُّنُبْ
ما كان من حيرٍ بها أقام ، أو شرّ ذهبْ

توفى

تمهيد

زمن الرواية :

صدر الدولة الأموية

مكان الرواية :

بادية نجد

أشخاص الرواية :

قيس — مجنون ليلى

ليلى

المهدى — أبو ليلى

ورد — زوج ليلى

ابن عوف — أمير الصدقات فى الحجاز وعامل من عمال بنى أمية

رياد — راوية قيس وصديقه

منازل — غريم قيس فى حب ليلى

بشر — رجل من بنى عامر

ابن ذريح — شاعر من شعراء الحجاز

بصبص — كاتب ابن عوف

سعد — رجل من بنى عامر

الغريض — مغن مشهور

ابن سعيد — شاعر

أمية — رفيق ابن سعيد

الأموى — شيطان قيس

عفرروت
هبيد
عسر
عاصف — شياطين

بلهاء — جارية قيس

عفراء — جارية ليلى

سلمى
هند
عبله — فتيات من بنى عامر

رحال — قوافل — حداة — صبية — فتيات

الفصل الأول

« ساحة أمام خيام المهدى فى حى بنى عامر — مجلس من مجالس السمر فى هذه الساحة — فتية وفتيات من الحى يسمرون فى أوائل الليل ، وفى أيدى الفتيات صوف ومعازل يلهون بها وهم يتحدثون — تخرج ليلى من خيام أبيها عند ارتفاع الستار ويدها فى يد ابن ذريح »

ليلى . دعى الغزْلَ سلمى وحَيِّى معى
منارَ الحِجازِ فتى يَثْرِبِ (١)

« تصافحه سلمى »

ويا هِنْدُ هذا أديبُ الحِجارِ
هلمِّى بمَقدَمِه رحّبى

« تصافحه هند ويحتفى به السامرون »

سعد : أمِن يَثْرِبٍ أنت آتٍ ؟
ابن ذريح: أَجل من البلدِ القُدُسِ الطيّب
ليلى : أيا ابنَ ذريحٍ لقينا الغمام

---

(١) يثرب — المدينة المنورة

To: www.al-mostafa.com

هنـد : وطافَتْ بنا نَفَحاتُ النبى

« عله — هامسة الى سعد »

مَن ابنُ ذَريحٍ ؟

سـعد : وحَـتَّى ذِكرُه

على مَشرِق الشمس والمغرب

رَضيعُ الحُسَيْنِ عليـه السلامُ

وتِرْبُ الحُسَيْنِ من المكتبِ

« عله — الى ستر ومشيرة الى ابن ذريح »

أتسمَعُ شرُ رضيعُ الحُسَيْنِ

فديتُ الرضيعيْن والمُرضِعه

وأنت إذا ما ذكرنا الحسينَ

تصامتَ !

« بشر — هامسا وملقما كأنما يخشى أن يسمعه أحد »

لا حاهلاً مَوْضِعه

ولكن أخاف أمراً أن يرى عليَّ التشيُّعَ أو يَسمعَه

احبُّ الحسينَ ولـكنما لسانى عليـه وقلبى معه !
حَبَسْتُ لسانىَ عن مدحه حِذارَ أُميّ أن تقطعَه
إذا الفتنةُ اضطرمتْ فى البـلاد
ورُمْتَ النجـاةَ فـكُن إمّعَهْ !

ليـلى : إبنَ ذريحٍ نحن فى عُزْلةٍ فهل على مُستفهِمٍ منك باس؟
دارُ النبىِّ كيف خلّفتَها ؟
كيف تركتَ الأمرَ فيها يُساسْ

ابن ذريح: تركتُها ياليـلَ مَضبوطةً يحكُمُها والٍ شديدُ المراسْ
إن حـديثَ الناس فى يثربٍ
همسٌ وخطوَ الناس فيها احتراس

ليـلى : إبن ذريح لا تَجُرْ واقتصِدْ أحلامُ مَرْوانَ جبالٌ رَواسْ
يؤسِّسُون المُلْكَ فى بيتهم
والعُنْفُ والشـدةُ عند الأساس

« تتضاحك الفتيات وتقول احداهن لأخرى »

فتاة : ليـلى على دينِ قيسٍ فحيتُ مال تميـــــلُ ؟

وكلُّ ما سرَّ قيســـــا فعنـــــد ليلى جميلُ

ابن ذريح: ما الذى أضحـك منى الظّبياتِ العـــامريّهْ

ألأنى أنا شِـــيعِىٌّ وليلى أُمَـــــويّهْ ؟

إختلافُ الرأى لا يُفْســـــدُ للود قضـــيه

ليـلى : أعِرْنى سماعَك يابنَ ذريحٍ ولا تسمَع الطفلةَ الهاذيهْ

أتَيْتَ لنا اليومَ من يثربٍ فكيف ترى عالَمَ الباديه

أكنتَ من الدور أو فى القصور

ترى هـــذه القُبَّةَ الصافيه ؟

كأن النجومَ على صـدرهـا

قلائدُ ماسٍ على غانيـــــه

هنـد : كفى يابنةَ الخال ! هذا الحريرُ

كثيرٌ على الرمَّة الباليـه

تأمَّلْ ترَ البيـدَ يا بن ذريحٍ

كمقـبرةٍ وَحْشَةٍ خاويه

سئمنا من البيد يابن ذريح ومن هـذه العيشة الجافيه

ومن مُوقدِ النارِ فى مَوْضِعٍ
ومن حالب الشاة فى ناحيـــه

وراغيـــــةٍ من وراء الخيام
تُجيبُ من الكَلأ الثاعيه (١)

وأنتم ببئرَ أو بالعراق أو الشام فى الغُرَف العاليه
مُغَنِّيكمو مَعبَدٌ والغريضُ وقَيْنَتُنا الصَّبْعُ العاويه
وقد تأكلون فُنونَ الطهاةِ وتأكل ما طَهَتِ الماشيه

ليلى : قد اعتَسَفَتْ هندُ يا بنَ ذريحٍ
وكانت على مَهدها قاسيه

فما البيـــد الا دِيارُ الكِرامِ
ومَنزلةُ الذِّمَم الوافيـــه

لها قِبْلةُ الشمس عنـد النُزوغ
وللحَضَرِ القِبلةُ الثانيه

ونحن الرياحينُ مِلءَ الفضاء وهنَّ الرياحينُ فى الآنيه

(١) الراغية : الناقة والثاغية : الشاة

ويقتُلُنا العشقُ والحاضراتُ يَقُمْنَ من العشق فى عافية
ولم نصطَدِم بهموم الحياةِ ولم نَدرِ ـ لولا الهوى ـ ماهيه
وآنا نحف لصَيْد الظباء وآنا الى الأُسد الصارية

« هند — ساحرة »

وفى كل ناحيةٍ شاعرٌ يغنّى لليلاهُ أو راويه

« تحاول ليلى أن تمد رحلها فتتألم وتستغيث »

ليلى : قلبُ ، إلىَّ قيس

هند : ما دهاكِ ليلى ما الخبرْ

ليلى : أحس رحلى حدِرت حتى كأنها الحَجرْ

هند : قد صحتِ قيسُ مرتين

ليلى : أو ثلاثا ما الضرر

هند متهكمة : اسم الحبيبِ عندنا نذكره عند الخدر (١)

ليلى : هند كفى دعابة إن هو الا اسمٌ حصر

« لنفسها »

(١) حدرت الرحل : نملت

يا قيسُ ناجَى باسمك القلبُ اللسانَ فعثَر

عبلة ضجرة : أماسوى هذا الحديثِ شاغلُ ؟

كيف طلِلْتَ اليومَ يا منازلُ ؟

« منازل — صاحكا »

منازلُ اليومَ كأمس هازلُ نشرَبُ أو يَطْعَمُ أو يُغازلُ!

هند : بخٍ ! كذا فلتكنِ الحياةُ مُت يابعيرُ وابقَى يا شاهْ

آنغمست فى الترف الرعاةُ !

ليلى : وكيف طلِلتِ اليوم سعدُ ؟ أهارلُ

كبِرتك أم فى صالِح ورشادِ !

سعد : بل الحدُّ ياليلى سيلى وديْدنى

حياتى بِوادٍ والمحُونُ بواد

محبتُ زيادا طول يومى تلقفا

لأشعار قيس من لسان زياد

وإنَّ زيادا — منذ كان — لرائحٌ

علينا بشعر العامرىّ وعاد

ولولا زيادٌ ما تمثّل حاضرٌ بأشعار قيسٍ أو ترنم باد

« يبدو على ليلى شيء من الزهو فتتهامس الفتيات »

سلمى : انظرى هنـد ترىْ ليلى اكتست رهـواً وكبرا
وتعالت كابـةِ النعمان أو كابنـــة كسرى !

هند : لِمَ لا سلمى ، ألم يرَ وَعْ لها المجنونُ ذكرا ؟

عملة : لِمْ إذن يا هنـدُ من قيسٍ ومما قال تَبرا ؟

هند : عَبَثُ السِّـوة إنا نحـــن بالسـوة أدرى !

سلمى : سلوا الآن بشرا فيم أنفق يومه ؟

« أصوات » ســـلوه

هند : سلى ياليلَ عن يومه بِسرا

ليـلى : وهَل يومهُ الا ستؤونٌ كأمسه من الصيد ؟

هند : إن الصيد لذته الكبرى

بشر : نعم هو ملهايَ الذى لا أمَـله
ولا النفسُ تُعطَى عن تناوله صبرا

ولو كان عيشى فى قصـــــور أميّـةٍ
لعَلّمتُ فنَّ الصيـــــد فتياتها الزهرا
وما أنا صيَّادُ الأرانبِ مثلَهم
ولكن على حيّاته ألِجُ القَفـــــرا

ليـلى : إذن هاتِ واصدُقْ بشرُ فى القول مرّةً
ولا تخترعْ أو تَبنِ من حَجَرٍ قصرا !

بشر : دعى عنكِ هـذا السُّخْرَ ياليلَ واسمعى

ليـلى : تحدّثْ فـلا واللهِ لم أَصْمِرِ السُّخْرا

بشر : نكِرَتُ كدأبى اليومَ أبعى قنبصةً
ومَن يتصيّدْ يحسبِ الغُنمَ والخُسرا
(رأيت غزالا يرتعى وَسطَ روضـة
فقلت أرى ليلى تَراءَت لنا ظُهرا) (١)

« هند — مشيرة الى ليلى »

وأىَّ الليـــــالى بشرُ آنست ؟ هده

بشر : إذاشئت — أوهاتيكِ — أوحُرةً أخرى

(١) الأبيات التى بين الأقواس من شعر قيس

فقلتُ له ياظـــــبيُ لا تخشَ حادثا
(فانك لى جارٌ ولا ترهب الدهرا)
(فما راعنى الا وذئبٌ قـــــد انتحى
فأعلق فى أحشائه النابَ وَالظُّفرا)
(ففوّقتُ سهمى فى كَتومٍ غمستُها
فخالط سهمى مهجةَ الذئبِ والنحرا)

ليلى صاحكة : أخى بشرُ لا شُلت يمينُك من يدٍ
ولا فَضَّ فاك الصبحُ والليلُ ما كرّا

سمعنا بإقـــــدام اللصوص وفتكهم
فلم نر أدهى منك فتكا ولا أجرا !

ووالله لم تعصب لطِـــــبي ولم تثبْ
بذئب ولم تُعمِلْ خيالا ولا فكراً
أخذتَ فلم تترك لقيسٍ بصاعةً
سرقتَ لَعمرى الظبيَ والذئبَ وَالشعرا !

« ضحك من الجميع »

حديثُ الظبيِ والذئبِ وقيسٍ لستُ أنساه
زيادٌ عنه بنّابى ولا ينبيك إلاه
رأى قيسٌ على رابيـة ظبيا فناداه
فألقى الظبيُ أذْنيهِ ومسّ الأرضَ قرناه

« ثم تقول فى لوعة وصوت مخفوض وكأنما تحدث نفسها »

بروحى قيسُ! هل راحت طباء القاع تهواه ؟
وهل يَرْثى له الريمُ ولا أرثى لبلواه

« تسترسل فى حديثها الأول : »

على فيه من العُشْبِ بقايا صبغت فاه
رأى فى جيده قبسٌ وفى عينيه ليلاه
فبينا هو فى الشوقِ وفى نشوة ذكراه
حبا الذئبُ من الوادى الى الظبى فأرداه
تعدّى بحَشا الظبى غَداءً ما تهنّاه
رماه قبس فى المقتل بالسهم فأصماه

« بشر : مندفعا بحماسة ! »

أجل ياليلَ ! ما قلتِ سوى شيءٍ شهِدناه
وإن لم تذكرى القبرَ ولا كيفَ خططناه
حفرنا القبرَ للظبيِ وقمنـــــــا فدفناه
وصلَّينا على الميْتِ وبالدمع سقيناه
فقولوا ولتقل ليلى معى يرحمُهُ الله !

« أصوات بين الضحك والسخرية »

أجل بشرُ !

أجلْ بشرُ !

أجل يرحمه الله !

ابن دريح: بشرُ كفى هرلا وتخليطا كفى
ويابنةَ العم مضى الليلُ سُـدى
أرسلنى قيسُ فلو أخـــبرتنى
متى مـنى بأمر قيسٍ يُعتنى ؟
بتنا نخـــافُ أن يجِلَّ خطبُه
وتبلعَ البـــلوى بقيسٍ المَدى

وقيسُ ياليلى و إن لم تجهلى زين الشباب وابنُ سيدالحمى
لم ندرِ فى حيِّك أو فى حيِّه فتى حكاه سبا ولا غنى
ولا حمالا ، وهنا (ياليلَ) ما ترينَ أنت لا الذى نحن نرى

بشر ساخرا : بخٍ بخٍ ! ابنُ ذريح حاطبٌ

ابن ذريح : أسكت فلست للمروءات أخا !

ليلى عاضبة : فيم هذا الكلامُ يابن ذريح ؟

ابن ذريح : إتقى اللهَ واقصِدى فى التجنى

ليلى : ما تحنّيت

ابن ذريح : بل ظلمت ، دعيى
أحسنِ الذَّودَ عن صدبقى وخِدنى

ليلى : أنا أَوْلى به وأحنى عليه لو يُداوَى برحمتى والتحنّى
يعلمُ الله وحده ما لقيس
من هوًى فى حوانحى مستكِن
إننى فى الهوى وقيسا سواءٌ
دَنَّ قيس من الصبابة دَنّى

أنا بين اثنتين كلتاهما النا ر فلا تَلْحَنى ولكن أعِنِّى

بين حرصى على قَداســـــة عرضى

واحتفـــاظى بمن أُحبُّ وصى

صنتُ منذ الحداثة الحبَ جَهدى

وهْو مستهترُ الهـوى لم يَصُنِّى

قد تغنى بليـــــلة العَيْلِ ، ماذا

كان بالغيـل بين قبس و بينى ؟

كل ما بيننا سـلامٌ وردٌّ بين عين من الرفاق وأُذن

وتسمّتُ فى الطريق إليه ومضى شأنه وسرتُ لشأنى

« تهيب بالسامرين وقد بلغ بها الغضب أقصاه »

أوْعل الليلُ فلنقمْ

ابن ذريح — متوسلا »

بل رويدا واسمعى (ليلَ)

ليـلى : خل عنِّىَ دعنِى !

« تدخل خباءها بينما يغص السامرون فلا يتثاقل منهم فى القيام »

« الا مارل — الهرج والأسف يسودان الجميع »

قد تغنى بليلة الغيل ماذا كان مالعيل بين قيس وبني ؟

(صفحة ١٤)

بشر : انفضَّ ساهرُ ليلى وكان حَفْلا كريما

سعد : قد فَضّه ابنُ ذريح ففض عِقْدا نظيما

أثار ليلى فهاجت كما تنفِّر رِيما

تُرى أتُبغِضُ قيسا

ابن ذريح : لا تقلبوا الحبَّ بغضا

ليلى العشةَ عصبى ويُصبح الصبحُ ترضى

سعد : أنعم (مُنازِ) مساءً

منازل : نُعِمتَ سعدُ مساءَ

هند : بشرُ مُسِّيتَ بخيرٍ

بشر : أنعمى هندُ مساءً

هند . نحن يحوينا طريقٌ فامضِ بلغّى الخِباءَ

سعد — ضاحكا

احذرى يا هند منه !

هند : أنا لا أخشى اعتداء

قد عرفتم وعرفنا كيف يصطاد الظباء !

« تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بينما يظهر »
« قيس وزياد من جانب المسرح الآخر »

قيس . سجا الليل حتى هاج لى الشعرَ والهوى
وما البيدُ الا الليلُ والشعرُ والحبُّ
ملأتَ سماءَ البيدِ عشقا وأرضَها
وحُمِّلتُ وحدى ذلك العشقَ يارب
ألمّ على أبيات ليلى بىَ الهوى
وما غيرَ أشواقى دليلٌ ولا ركبُ
وباتت خيامى خُطوةً من خيامها
فلم يَشفنى منها جوار ولا قرب
إذا طاف قلبى حولها جُنّ شوقُه
كذلك يُطْغِى الغُلةَ المنهلُ العذب
يحن اذا شطت ويصبو إذا دنت
فياويح قلبى كم يحن وكم يصبو
وأرسلنى أهلى وقالوا امض فالتمس
لنا قبسا من أهل ليلى وما شبوا

عفا الله عن ليـلى لقد نؤتُ بالذى
تحمّلَ من ليلى ومن نارها القلب

« منازل — وقد سمع همهمة الصوت ورأى شبحيهما فى الظلام »

أرى شبحا مقبلا فى الظلام وأسمع همهمة فى الدجى
هو ابن الملوَّح دل الهُزالُ عليه وممّ اضطراب الخُطا
عدوى المبين وما بيننا ولا بين صاعِيتَيْنَا (١) حفا
روى شعرَه البدو والحاضرون وشعرىَ لبس له من روى
وهام بليـلى وهامت به لقد كنت أولى بهذا الهوى
تشرَّد مستعطَما فى البلاد وجُنّ فما ارداد الا بُهى
وإنى لأُبدى الـه الوداد وأخفى له فى الضلوع القِلى
وأحسُدُه حسـداً ما علمت أقدسُ الشـقى به أم أنا

« يتقدم منهما خطوات »

مَن الراكبُ الليلَ ؟ قيسٌ أخى ؟

قيس . منـازل ؟ ما أعجبَ الملتقى !

(١) صاعية الرجل قومه

منازل : أقيساً أرى فى طلال البيوت ؟

وعهدى بقبس حلبَ الفلا

قيس : منازل ، من أين ؟

منازل : من عندها من السمر الممتِع المنتَهى

قيس ـ حنقا : أمن عند ليلى نحرُّ الذيول

حديث لَعمرُ أبى مفترى

منازل : بل الصدقُ ما قلتُ يا ابن الملوَّحِ

قيس : إحساً متى قلت صدقا متى ؟

وما كنت تصنع ؟

منازل ـ ساخرا : ما يصنعون لهوت لعمرىَ فيمن لها

وسامر ليلى كثير الزِّحام فلست تعدُّ شباب الحِمى

وليلى تُفيضُ على من تشاء رضاها ومحرمُه من تسا

زيادمغضبا: منازل ، قيسُ ، سبيلكَ قيس !

وكِلْ لىَ تأديبَ هذا الفتى

« منازل — وقد أخذ بلابيه »

تؤدبُنى زيادُ وأنت طل لمحنون وراوية لهادى

وتُزْعمُ أننى نِدٌّ لقيس

رضِيت من المصائب غيرَ هذى !

زياد : من قال ذا ؟ أنت لقيس نِدّ

لم يبق فيكِ ياحيـــــاةُ حِدُّ

إمضِ بنا ناحيـةً يا وغد !

« يجره الى حيث تسمع أصواتهما من بعيد ثم تحتفى »

« فيقبل قيس على حياء ليلى وينادى »

قيس : ليلى !

« المهدى : حارحا من الخباء »

من الهـاتف الداعى ؟ أقيسَ أرى ؟

ماذا وقوفُك والفتيان قد ساروا

قيس خجلا : ما كنتُ ياعمُّ فيهم

المهدى : دهشا : أين كنت إذن ؟

قيس : فى الدار حتى خلَتْ من نارنا الدار

ما كان من حطب جزْلٍ بساحتها

أوْدى الرياحُ به والضيفُ والجار

المهدى مناديا : ليلى ـ انتظر قيس ـ ليلى

« ليلى ـ من أقصى الخباء »

ما وراء أبى ؟

المهدى : هذا ابن عمّك ما فى بيتهم نار

« تظهر ليلى على باب الخباء »

ليـلى : قيس ابن عمى عنـــدنا يا مرحبا يا مرحبا

قيس . مُتّعتِ ليلى بالحيـــا ة وبلّغتِ الأربا

« ليلى : تنادى جاريتها بينما يختفى ابوها فى الخباء »

عفراء

« عفراء ملبية نداء مولاتها : »

مولاتى

ليـلى : تعـــــالَىْ نقضِ حقا وجبا

خـذى وعاءً واملئيـــــه لابن عمى حطبـا

« تخرج عفراء وتتبعها ليلى »

قيس : بالروح ليلى قضت لى حاجةً عرضت
ما ضرها لو قضت للقلب حاجاتِ
مصت لأبياتِها ترتاد لى قبسا
والنار يارُوحَ قيسٍ ملء ابياتى
كم جئتُ ليلى بأسباب ملفقة
ما كان أكثر اسبابى وعلاتى

« تدخل ليلى »

ليلى : قيس

قيس : ليلى بجانبى كلُّ شىء إذن حضرْ

ليلى : جمعتنا فأحسنت ساعةٌ تَقْضُلُ العُمُرْ

قيس : أتجدِّين ؟

ليلى : ما فوا دى حديدٌ ولا حجر
لك قلبٌ فسله يا قيـ س ينبِئْكَ بالخبر
قد تحملتُ فى الهوى فوق ما يحمل البشر

قيس : لستُ لـــــيلاى داريا كيف أشكو وأَنفجِر ؟
أشرح الشوقَ كله أم من الشوق اختصِر ؟
نبّئى قيس ما الذى لك فى البيد من وطر ؟
لك فيهـــــا قصائدٌ جاوزَتْها الى الحضَر
كلُّ ظـــــبيٍ لقيتَه صُغت فى جيده الدرر
أتُرى قد سلوْتنـــــا وعشقتَ المهَا الأَخر ؟

قيس : غِرتِ لِيـــــلى من المها والمهـــــا منك لم تَغَر
حبّب البيدَ أنهـــــا بكِ مصبوغةُ الصُّوَر
لستِ كالغِيـــــدِ لاولا قمر البيـــــد كالقمر

« ليلى : وقد رأت النار تكاد تصل الى كم قيس : »

ويحَ عيـــــنىَّ ما أرى قيس !

قيس : ليلى

« ليلى : مشفقة » : خذ الحذر !

« قيس : غير آبه الا لما كان فيه من نجوى »

رُبَّ فجرٍ سألتُه هل تنفست فى السحر
ورياحٍ حسبتُهـا حرّرَت ذيلَكِ العطِر
وغزالٍ جفُونهُ سرقت عينكِ الحوَر
ليلى : اطرح النارَ يافتى انت عادٍ على خطر
لهبُ النار قيسُ فى كمك الأيمن انتشر

« قيس : مستمر بعد أن رمى النار من يديه : »

وذئابٍ أرقّ ياليلَ من أهلِك الغُيُ
أنِستْ بى ومرّغت فى يدى الناب والظفُر
ليلى : ويح قيسٍ تحرقت راحتاه وما شعَرَ
قيس : انت أججتِ فى الحشَا لاعجَ الشوقِ فاستعَرْ
ثم تخشينَ جمرةً تأكلُ الجلد والشعَرَ

« يترنح قيس فى موقفه وتظهر عليه بوادر الاغماء » :

ليلى : فدَاكِ أبى قيس، ماذا دَهاك؟ تكلم، أبن قيس، ماذا تجد
قيس : أحسُّ بعينىّ قد غامتا وساقىّ لا تحملان الجسدْ

« يخر صريعاً الى الأرض فتتلقاه على صدرها صارخة »

ليلى : يا لِأبي للجارْ قيسٌ صريعُ النارْ مُلقىً بصَحن الدارْ !

« يخرج أبوها من الحماء على صوت استغاثتها »

أبي ها أنت ذا جئت أغثنـــا أنت أدركْ

لقد حُرِّق بالنـــار فما يصحـــو إذا حُرِّكْ

المهدى : يرانا الناسُ ياليـــلى

ليلى : أبى أنف الناسَ من فكرك

هنـا لا تقعُ العـــيْنُ على عـيرى ولا غـيرك

ولا يَطْلُعُ إنســـانٌ على سرى ولا سِرك

ولا أجـدرُ من قيس باشـــفاقك أو برك

أبي صـــدرىَ لايقوى فأسـندْه الى صـدرك

« المهدى — وهو يلقى عنها حمد قيس ويحاول انعاشه »

رعاك اللهُ ياليـــلى وكافاك على صـــبرك

أخافُ الناسَ فى أمرى واخشى القلبَ فى أمرك

وكم داريتُ ياليـــلى وكم مهّدْتُ من عـذرك

To: www.al-mostafa.com

أبى ها أنت ذا حثت أغثنـا أنت أدرك

(صفحة ٢٥)

ولست الوالدَ القـــاسى ولا الطامعَ فى مهرك

« ياحى قيسا فى غيوبه »

أنا المهـــدىّ عوفيتَ ويا بورك فى عمـــرك

أرانى شـــعرُك الويلَ وما أرْوى سوى شعرك

كما لَدّ على الكُره كلامُ الله للمشرك !

« سحرك قيس ويبدو عليه كأنما يفيق فيما يديه »

قيس

« قيس — يحاول الوقوف فيسنده ليلى »

لبَّيك عمّ

المهدى : حسبك فادهب لا تطأ لى بعد العتبةِ دارا

ليلى : أبتى لا تَجُرْ على قيس

المهدى : لمْ لا إن قيسا على القرابةِ حارا

ليلى : أبتى ما نراه كالمَن الذا

وى نُحولا وكالمَغيب اصفرارا ؟

وتأملْ رداءه ويديْه تجد النارَ أو ترَ الآثارا

أبتى دَعْه يَسترحْ

المهدى : بل دعينا

لا نزيدى يا لبلَ سُخطى انفجارا

قيس : حسبُ ياليلَ ، حسبُ دلا لعمّى

وكفى حِلفةً له واعتـــــذارا

عمُّ مادا جنيت ؟

ليـلى : ماذا جى قيس

المهدى : سيتَ الرُّواةَ والأخبـــارا

فِبس : إنهم يأفِكون يا عمِّ

المهدى : والغَيلُ أليلاً غَشِيتَه أم نهـارا ؟

ما الذى كان ليلة الغَيْل حتى

قلتَ فيها النّسيبَ والأشعارا ؟

قيس : لم تكنْ وحدَها ولا كنتُ وحدى

إنما نحن فِتيـــــــةٌ وَعذارى

جمعْتنا حمائلُ الغيل بالليل كما يجمعُ الحمى السُّمّار

ليسَ غيرَ السلامِ ثم افترَقنا ذهبتْ يَمنةً وسِرتُ يسارا

المهدى : إمض ياقيس إمض لا تكسُ ليلى

كلَّ حينٍ فصيحةً وشنَارا

فكأنى بقصة النار تُروى وكأنى بذلك الشعر سارا

وكأنى ارتديتُ فى الحى ذلا وتجللتُ فى القبائل عارا

إمض قيس امضِ

قيس : عمٌ رفقا بليلى و بقيسٍ ولا تكن حمارا

الحذَارَ الحِذَارَ من غضب الله ومن سُخطه الحذار الحذارا

المهدى : إمض قيس امض جئت تطلب ناراً

أم تُرى جئت تُشعلُ البيتَ نارا ؟

« يخرج قيس »

« ستـــــــار »

الفصل الثاني

« طريق من طرق القوافل بين نجد ويثرب ، على مقربة من حي بني عامر حيث »
« تبدو مضارب هذا الحي على مدى البصر وعلى سفح جبل الوبار ـ قيس وزياد »
« جلوس الى جذع نخلة ، يستشرفان شبحا يسير نحوهما »

قيس : زياد ما نالك ؟ مَن الجُوَيْريهْ ؟
أتلك (بلهاء) ؟

زياد : أجَل قيس هَهْ

« تظهر بلهاء وعلى رأسها قصعة »

قيس : بلهاء كيف الحيُّ ؟ كيف أُمَيَّه ؟

« بلهاء — وهي تصع القصعة »

تسألُ عنكَ كما سألتَ

« تبدو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه »

زياد : بالله ياقيسُ إلا أكلت

« يشتد ميل قيس عن الطعام »

بلهاء هامسة لزياد : زيادُ ما داق قيسٌ ولا همّا

زياد : طبخُ يدِ الأمّ يا قيسُ دُقْ مِمّا
الأمُّ يا قيسُ لا تطبُخُ السَّمّا

« ينزع عن القصعة عطاؤها »

تعالَ تأمّلْ قيسُ ، تلك ذبيحةٌ

قيس : عسى اليومُ محرٌ

زياد : أين نحنُ من الأضْحى ؟

قيس : أرى صُنعَ أمي يا زيادُ ، فَدَيتُهَا
بروحي وإن حمّلتُها الهمَّ والبَرْحا
سنحبرنا الليلها.

زياد : ليلهـــــــاء بنّي
ولا تكتمي عنا الحديثَ ولا الشرحا

ليلهاء . لقد مرّ عرّاف اليمامةِ بالحمى
فما راعنـــــــا الا زيارتُه صُبحا

طوى الحيّ حتى جاء عن قيسَ سائلا
وأطهرَ ما شاءَ المودّةَ والنُّصحا

ولاحت له شاةٌ حَثُومٌ بموضعٍ
تخيّلُها ظلا من الليل أو جُنحا

فقال اذبحوا هاتيك فالخير عندَها
فقام البها يافعٌ يُحسِنُ الذّبْحا

فقال انزعوا من جُثّة الشاةِ قلبَها
فلم نألُ قلب الشاة نزْعا ولا طرْحا

فلما شويناها رَمَى بعزائمٍ
عليها وألقى فى حوانيها الملْحا

وقال اطلبوا قبساً فهذا دواؤه
كأنى به لما نناوله صَحّا

زياد : تعلّلْ قيسُ بالشاة عساها تُذهبُ الحُبّا
فما العرّافُ بالمجهو ل لا علماً ولا طبّا
ولم تَعلَمْ عليه اليد تدحيلا ولا كذْبا
طبيبٌ جرّبَ الناسَ فى الصحراءِ والرَّطْبا
فذقْ قيسُ ولا تزتبْ بما قال وما نبّا

وتلك الأمُّ ياقيس أطعْها تطعِ الربَّا

قيس : زياد اسمعْ وكن عونى وخلِّ اللومَ والعَتبـــا

إذا ما لم يكن بُـدٌّ فانى آكُلُ القلبـا

زياد : قيسُ يبغى القـلبَ يالمـــــهاء أين القلب أينـا ؟

لهاء : هو عندى ويســـيرٌ ما انتهى قيسٌ علينا

هو فى الشاه

زياد : هُـلمِّى أحرجى القلبَ الينـا

لهاء : القلبُ ! أين القلبُ ؟ أيـــن يا تُرى وضَعْتُه ؟

يا ويحَ لى ! نسيتُ آنى بيـــــدى نزعتُـه !

قيس : وشـاةٍ بلا قلبٍ يداووبى بهـــا

وكيف يُداوى القلبَ من لا له قلب !

« تسير بلهاء الى الحى ويظهر صغار من ناحية الحى يلهون فى طائفتين وإذ تقع »
« أبصارهم على قيس وزياد تنعى كل طائفة بعداء »

« الطائفة الاولى »

قيسُ عُصـفورَ البوادى وَهـــــزارَ الرَّبَوات

طِرنَ من وادٍ لِوادٍ وعمـرتَ الفـــلوات

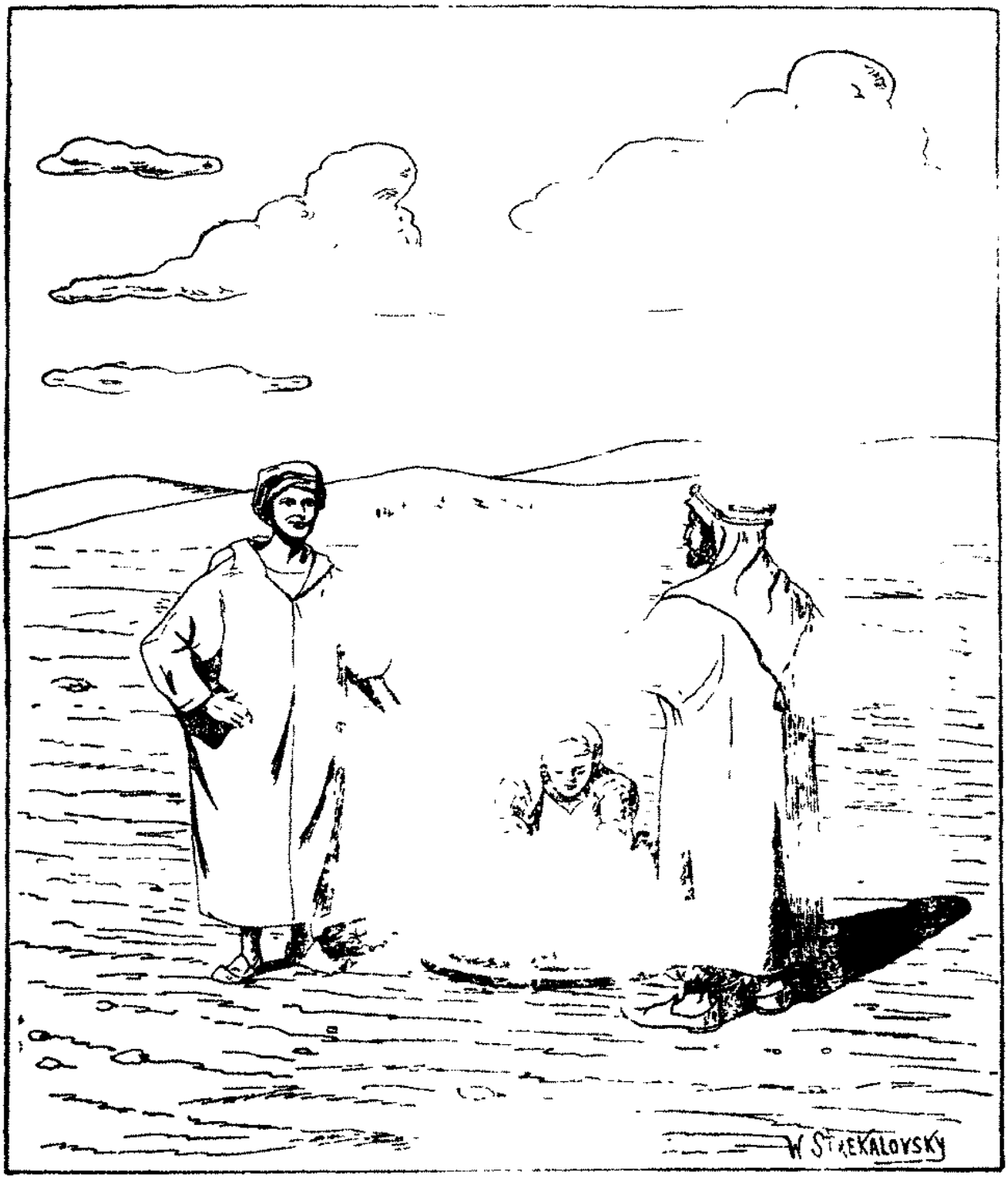

« وشاة بلا قلب يداوونى بها وكيف يداوى القلب من لا له قلب »

(صفحة ٣٣)

إيهِ يا شاعرَ نجـــدِ ونجىَّ الظّمبَـــاتْ
أضمرِ الحبَّ وأبدِ لِأعفّ الفتيـــاتْ

« الطائفة الثانية »

قيسُ كشّفتَ العدارى وانتهكتَ الحُرُماتْ
ودمَغْتَ الحىَّ عارا فى السبىَ العابراتْ
قد ذكرنَ الغَنْل دعوى واصطنعتَ الحلوَاتْ
صَلِمَتْ ليـــلى بلوى منك دون الفَنيـاتْ !

« يلتقط قيس بضع حصوات من الارض وبهم أن يحصب بها الصغار ثم يتردد »
« فينثر الحصا من يده ، بينما يظهر من جانب الطريق الآخر اس عوف وكاتبه نصيب »
« قيس : مناجيا نفسه »

قيسُ لا ! سامحْ صغارا لا يحسُّون الخطيئه
إنهـــم فيما أتوْه بَغَاواتٌ بريئـــهْ
لقّنوهـــا كلماتٍ بَزِهابٍ أو بذبئـــهْ

« زياد : وهو يصرف الصغار »

إذهبوا عودوا الى آبائكم وادكروا قيسا بخير ياخُبُثْ
إدهبوا أوْحُوا الى أترابكم وليُبَلِّغْ حَدَثاً منكم حَدَثْ

سيطرَ الحبُّ على دنيـــــا كمو

كلُّ شيء ما خلا الحبَّ عَبَثْ

« يجرى الصغار أمام زياد مصطربين ثم يختفون عن الأنظار ، بينما »
« يستلقى قيس على الأرض فى شبه اغماء »

ابن عوف : الى نصيب وزياد يطارد الصغار »

انظرْ نُصيبُ صحةٌ وصبيهْ ورجلٌ يرمى الصغار بالحصا

نصيب . أرى أميرى نشـــــأ تعلقوا

بابن سبيلٍ مُتعَبٍ واهى القُوى

ابن عوف: بل امضِ سَلْ

نصيب : معترضا زياد »

من الفتى ؟

زياد : لنفسه وقد رأى ابن عوف »

ماذا أرى ؟ هذا أميرُ الصَّدَقات ههنا

ثم يرد على نصيب »

قيسُ إمام العاشقـين

ابن عوف: أيُّهم فهم كثير، كل قيس يهوى

زياد : أجلْ ولـكنّ الذى تُبْصِرهُ أرفعُهم ذكرا وأعلاهم سنى

ابن عوف : لعله قيسُ الذى نعرِفُهُ لقد رَوَيْت شعرَه فيمن رَوى

فأين ظله زياد

زياد . أنا ذا أنا الذى يتبعهُ حيثُ مشى

ابن عوف . أنت الذى تهدى لـكلّ قريةٍ

مُجاجةَ النحل ونفحةَ الرُّبا

ما بالهُ يَطَا الترابَ حافيا ويقطعُ البيدَ مُمزَّق الرِّدا

خُذ يا نُصَيْبُ بُردتى فغطِّه لا يلحقنَّه من العُرى أدى

زياد . إحفظ عليك البُرْدَ يا أميرُ لا فقرَ اليه ابن سيد الحمى

. إن لقيس من ثياب الوشْيِ ما يَفْنى به العمرُ وما يُعيى البِلى

« ابن عوف : مناجيا نفسه »

يا ويحَ قلبى ماخلا من قسوةٍ ما بالهُ رَقَّ لقسٍ ورثى

« يقبل على قيس »

قيسُ بُنىّ

زياد . هو فى إغماءةٍ من وَجْده وما أظنه صحا

« يسمع صوت حاد من ناحية نجد ، ويتعالى الصوت قليلا قليلا حتى »
« يظهر الحادى ومن ورائه قافلة تسير الى المدينة ثم يذوب الصوت »
« قليلا قليلا حتى ينقطع »

أنشودة الحادى »

يا نجـــــدُ خُدْ بالزمامْ ورحّـبِ
سِرْ فى رِكاب العمامْ ليـثربِ
هـذا الحُسيْنُ الامامْ ابنُ النبى
النورُ فى اليـــد زادْ حتى غَمَرْ
أُحْـدُ الحيـاةِ الوهادْ أُحـدُ القمر
أُحْد جَمـالَ الموادْ زينَ الحضرْ
ابن النبى

ابن عوف : سمعتمو ؟ يا لكِ من رنة حـادٍ مُطربِ
زياد . يا ليت شعرى ما الركا ب مَنْ لواه المو كِب
نصيب . قـد بين الحادى فقل أصمٌّ أنت أم غـــبى؟
هـــذا إمامُ العرب هـذا الحُسينُ ابنُ النبى
هذا الزكىّ ابنَ الزَّكىِّ الطيّبُ ابنُ الطيب

عارَضَنا الحسينُ فى طريقـــــه ليـثرب
هــدا سنا حبينِهِ مِلْءَ الوهاد والرُّبى
قــد حلَّ حاديه جــلا لَ القارىءَ المطَرِّب

« ابن عوف هامسا الى نصيب »

نصيبُ صه لا تَسلكنْ بنـا مسـالكَ التُهَمْ
ولا تَظاهرْ بالهـــــوى لوارت البيت العلَمْ
إحذرْ جواسيسَ ابنِ هندٍ وعيونَ ابن الحَكَمْ
نحن رجالُ دُولةٍ قوَّامةٍ على الأمم
ليس بعينهـا عمًى ولا بأذْنها صَمَمْ
تسمع فى ظل القصور همسَ رُعيانِ الغنم

« الى زياد مشيرا الى قيس »

زياد انظرْ فما انفكّ صريعَ الوجدِ والذكرى
كما مَرّ بنا الركبُ الـــــحسنْيُّ به مَرَّا
فـلم يشغَلْ له بالا ولم يوقِظْ له فكرا
زياد . رويدا سيـدى مهلا ولا تستغرِب الأمرا

« نصيب صه لا تلكن بنا مسالك التهم ! »

(صحيفة ٣٩)

لقد سقناه بالأمسِ فجَّ الكعبةَ الغرّا
فلما لمس الركنَ ومسّتْ يدُه السّترا
وقلنا الآنَ من ليلى ومن فتنتها يبرا
سمعناه ينادى الله من ساحته الكبرى

اس عوف : وماذا قال !

زياد : ما تابَ من العِشق ولا استبرا
ولكن قال يا ربُّ ملكتَ الخيرَ والشرا
فهاتِ الضرَّ إن كان هوى ليلى هو الصرا
وإن كان هو السحرَ فلا تُبطلْ لها سحرا
ويارتِّ هَبِ السلوى لغيرى وهبِ الصبرا
وهبْ لى مَوْتَةَ المُضنَى بها لا ميتةً أُخرى

« يقبل على قيس ويميل عليه بحنان »

حنانيكْ قيسُ إلامَ الدهول !
أفِقْ ساعةً من عواشى الخَبَلْ
صليلُ البغال ورَجْعُ الحُداءِ
وضجّةُ رَكْبٍ وراء الجبَلْ

وحادٍ يسوق ركابَ الحسَيْنِ
يُهزّ الحبالَ إذا ما ارتحلْ
فلم يبقَ ماشٍ ولا راكبٌ على نحدَ الا دعا وابتهلْ
فقُمْ قبسُ واضرعْ مع الضارعين
وأنزلْ نَحدّ الحسيْنِ الأمل

« يسمع صوت حاد آخر قادما الى نحد من ناحية يثرب ، على »
« رأس قافلة اخرى وتمر هذه القافلة كما مرت الأولى »

« أنشودة الحادى »

لا هلا هيَّا * إطوى الفلا طيَّا * وقرّبى الحيّا * للنارح الصَبِ
لاحلّ فى اليدْ * شحنةُ التردِيدْ * كربةِ العرِّيدْ * فى الفنَنِ الرَّطْبِ
ح أم عنّى * أم للحمى حنّا * جُلَنْجِلُ رنّا * فى شعَبِ القلبِ
لا هلا سيرى * وامضى بيسر * طيرى بنا طيرى * للماء والعُشْبِ
رى اسقى الليلا * وأدركى الغَمْلا * العهدَ من ليلى * ومَسْرِلَ الحبِ
ه يا حادى * فتّشْ بنوْادِ * فالقلبُ فى الوادى * والعقلُ فى النشعِ
قرا يبدو * مَطلعهُ نحدُ * قد صنع الوحدُ * ما ساء بالركبِ

« بعيق قيس ثم تلفت مصغيا الى الحداء »

قيس :

ليلى ! مناد دعا ليلى فخفّ له ... نَشْوانُ فى جنبات الصدر عِر بيدُ
ليلى ! انظروا البيدَ هل مادت بآهلها ... وهل ترنّمَ فى المزمار داودُ
ليلى نداءٌ بليلى رنّ فى أذنى ... سحرٌ لعمرى له فى السمع نرديدُ
ليلى تَردّدُ فى سمْعى وفى خلدى ... كما تَردّدُ فى الأيك الأغاريدُ
هل المنادون أهلوها وإخوتُها ... أم المنادون عشاقٌ معاميدُ
إن يَنسَرَكونى فى ليلى فلا رجَعتْ ... حبالُ نجدٍ لهم صوتا ولا البيدُ
أعيرَ لبلاى نادوْا أم بها هتفوا ... فداء ليلى الليالى الخُرّدُ العيدُ
إذا سمعت اسمَ ليلى ثُبت من خَلَلى ... وثابَ ماصَرَعتْ منى العناقيدُ
كما النداءَ اسمُها حسنا وحبَّبَه ... حتى كأن اسمَها البشرى أو العيد
ليلى ! لعلىَ محمومٌ يُخيَّلُ لى ؟ ... لا الحىُّ نادوا على ليلى ولا نُودوا

ابن عوف :

لا تكتئبْ وتعالَ يا قيسُ استرحْ ... مما تكابد فى الهوى وتلاقى

قيس :

هل أنت آسٍ يا أميرُ جراحتى ... أم أنت من سحر الصبابة راقى؟

ابن عوف :

بل من رُواتكَ قيسُ من زمنٍ مضى ... لم أخلُ قيسُ عليك من إشفاق

قيس :

قل للخليفـة يا بنَ عوفٍ فى عدٍ منذا أباح له دمَ العشاق ؟
هدَرتْ حكومتُه دمى فتحرَّشتْ بدمٍ على سيف الحفُون مُراق

ابن عوف :

أرَصِيتنى عند الخليفة شافعا ؟ يا قيس

قيس : فى أمه :

لا والواحدِ الخـلاق

بل عند ليلى فامض فاشفع لى لدى ليـلى وناشِد قلبهـا أشواقى
جِئْها فذكِّرْها العهودَ وحفِظَها واذكرْ لها عهدى وصِفْ ميثاقى
ليلى إذا هى أقبلتْ حقنتْ دمى كرما وفكَّتْ يا أميرُ وَثاقى

ابن عوف :

الآنَ قيسُ ادهبْ فمدِّلْ حلَّةً وتردَّ عيرَ ثيابِكَ الأحلاق
فالصبحَ تدخلُ حىَّ ليلى فبسُ فى ركْبى وبين بطانَتى ورعاق

قيس الى زياد :

أسمِعتَ ماقال الأميرُ ؟ زيادُ، طِرْ نحو الحمى بجناحىْ المشتـاق
إذهبْ وسلْ أمى أعزَّ ملابسى من كل شاميٍّ وكلِّ عراق
واذكرْ لها فضلَ الأمير، ولم تزلْ نِعَمُ الأمير قلائدَ الأعنـاق

« يسير زياد نحو الحى بينما يتمسح قيس باس عوف كالطفل »

شكرا لصُنعكَ يا أميرُ ودُمتَ مَقصودَ الرحابْ
عجّلْ أمير

اس عوف ضاحكا : بل انتظرْ أنسيتَ يا قيسُ الثيابْ ؟

قيس : مَنْ مُبلغٌ أمى الحزينةَ أن عقلى اليومَ ثابْ ؟
ومَن النشيرُ اليكِ يا ليلى بقيسٍ فى الركابْ ؟
اليومَ أهـــــلا بالحيَاة ومرحباً بكَ يا شبابْ !

« ســـــتار »

الفصل الثالث

« قطعة من الصحراء تبدو فى يسارها طائفة من مضارب بنى عامر »
« ممتدة الى ماوراء اليسار على سمح جبل الوباد — حياء مضروب »
« الى يمين هذه الطائفة من المضارب كأنه نهاية حيام الحى — على »
« اليمين أشجار بان يقف فى ظلها ابن عوف وحاشيته وقيس »
« ورياد »

ابن عوف : تراءى الحىُّ للركْبِ وأشرَفْنا على الشَّعبِ
أفِقْ قيسُ أما فى رؤ يةِ الخيْمات ما يُصبى !
ألا تهتِفُ بالشكوى الى ليلى وبالعتْب

قيس : ديارَ الحى من ليلى سلامٌ من شجٍ صَب
على الحى على الدار على ليلى على الحب
غدا الركبُ على طيبٍ كريح المندَل الرّطب
فيا ليلى عسى اليوم أبُلُّ الشوقَ بالقرب
عسى الخِطْبَةُ لا تنزلُ فى ناديك كالخطب
عساهم لا يقولون فتى مشتركُ اللبِّ

ولا يذهبُ إحسانى ولا يبقى سوى ذنبى
يقولون بها غنىّ لقد غنّيتُ من كربى
سلى تُرَكَ كم مَرّعت خـدّىّ على التّرب
وكم جُـدتُ علَى الرمل ولم أبخَلْ على العُشب
بدمعٍ مثل دمعِ النُّكلِ مغروفٍ من القلب

« يتطلع ابن عوف الى ناحية الحى »

ابن عوف: قيسُ انتبهْ قيس

قيس : مَن المنادى !

ابن عوف : الحىُّ فى السـلاح سَدَّ الوادى
وأنت قيسُ بعد حينٍ غاد على خصوم لُدُدٍ شِـداد
فالقَ الرجالَ صاحىَ الفؤاد لاتَلْقهم مُضيّعَ الرشاد

« قيس : متطلعا كذلك »

أتُبصِرُ يابنَ عوفٍ حىّ ليلى تَدجّج فى السلاح ولا تراها!
فما لى لا أُحقِّقُ عيرَ ليلى وإن كثُر السوادُ لدى حماها
لقد ألقَى هوى ليلى حجابا على عينى فلستُ أرى سواها
وبغّضتْ النصيحَ الىّ ليلى وسدّ مسامعى عنه هواها

« أتبصر يا بن عوف حى ليلى تدجج فى السلاح ولا تراها ؟ »

(صفحة ٤٧)

« يسمع من بعيد ومن ناحية الحى لجب وقعقعة »
« سلاح ويقترب الصوت ويتعالى شيئاً فشيئاً »

أرى حىّ ليلى فى السلاح ولا أرى ... سلاحا كهجر العامريّة ماضيا
دمى اليومَ مهدورٌ لليلى وأهلِها ... فِداء لليلى مُهدَراتُ دمائيا
لىَ اللهُ ! ماذا منكِ يا ليلَ طَاف بى ... وما دلك الساقى وماذا سقانيا !
دعونى وما عندى لليلى أقولُه ... لليلى واسنشى الذى عندها ليا
أهيمُ فاستعدى نهارى على الحوى ... وأقبَعُ ليلى أستجيرُ القوافيا
(فما اشرِفُ الأيْفَاعَ الا صبابةً ... ولا أُنشدُ الأشعارَ الا تداويا)
إذا الناسُ شَطرَ البيت ولّوْا وجوهَهم ... تلمستُ ركنىْ بيتها فى صلاتيا
(أُصلّى فما أدرى إذا ما ذكرتُها ... أثنتَين صلّيتُ الضُّحى أم ثمانيا)
توارتْ وراءَ الجَمْع ليلى فخانها ... فمُ كانبسام الصبح يا ىَ التواريا
وطِيبٌ به خُصّتْ حوى الطيبَ كلَّه ... فقُلْه الافاحى أوفقُلْهُ الفواغيا
فأحسستُ من رعْى لسافىّ هزّةً ... كأن عِياناً منكِ لاقى عيانيا
دعونا وما يبقى إذا ما فنِيتُموا ... فوالله ماشىء خلا الحبّ باقيا
مشى الحبُّ فى ليلى وفىّ من الصِّبا ... ودبّ الهوى فى شاءِ ليلى وشائيا
وإنى وليلى للأواخر فى غدٍ ... لشُغْلٌ كما كنا شغلنا الأواليا

« يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترنح فيتلقاه »

« زياد — تسمع أصوات الحى من قريب »

ابن عوف : زيادُ أدركْه أدرِكْ إنى أرى الداءَ عادَهْ
لقد تصاءل قدسٌ واصفرّ مثلَ الحراده !
وليس قدسٌ بمُلقِ إلا إلـــك قِياده
الآن أسعى لقدسٍ سعيا أخافُ فسادَه
مِلْ بنا و بقدسٍ حـــتى يُصيبَ رَشادَه

« يحملون قيسا ويحفون به وراء شجر »

« الناس ، وتظهر طلائع الحى من اليسار وعلى »

« رأسها المهدى ومازل، وكلهم شاكى السلاح »

المهدى :

ياقومُ إن البغْىَ شرٌّ مركَبُهْ والخيرُ فى جانب من يُجَنَّبُهْ
هذا ابنُ عوفٍ قد أطلّ موكبُه و إن قيساً فى الرّكاب يصحَبُه
جاء يرومُ صهرَكم و يَخْطُبُه وقد علمتمْ كيف ساء مذهبُه
وكيف طال بابنتى تشبُّثُه

صوت : كِلْه الى سيوفِنا تؤدِّبُهْ لقد وجدناه وكنا نَرقُبُه

المهدى : لا ، دم قيسٍ دمُنا لا نقرَبُه يكفيه منا أننا نُخَيّبُه
ونَصرِفُ الأميرَ عما يطلبُه

صوت آخر: شيخَ الحمى لا تضعُفِ ولا تردّدْ وقف
ذُدْ عن عقيلة الحمى وامنعْ حياضَ الشرَفِ
لا تُصغِ للشافع فى قيس ولا المستعطِف
ليس ابنُ عوْفٍ فى الذى سعى له بالمنصِفِ
أبالأمير بعد ما أحار قيسا تحتفى !
لاَ تخشَ بأسَه ومن رجاله لا تخف
نحن كعثمانَ وليلى سننا كالمُصحَف

« يظهر ابن عوف وحاشيته من وراء الشجر ومعهم رياد »

ابن عوف : عِمْ أبا ليلى صباحا
المهدى : عِمْ صباحاً يابنَ عوف
ابن عوف : قل لهم يُلقُوا السلاحا ليس ذا مَوْطِنَ خوفْ
صوت من الحى :
يا بنَ عوفٍ يا أميرْ ليس ذا شأنَ الوُلاةِ

كيف تَحمى وتُجيرْ مُستبيحَ الحرُماتِ ؟

ابن عوف: عامرُ يا أحاوِدَ البِطاحِ وأسمَحَ الناس بُطون راحِ

مالى وللسيوف والرماحِ ؟ ضيف أتاوما ومن السَّماحِ

رَدكوحهَ الضيف بالسلاحِ ماجئتُكم يا قومُ للكفاحِ

بل جئتُ للتوفيق والإصلاحِ

« تحدث ضجة فى جانب الحى وتصايح وتهامس »

« ثم يلقى كثير منهم السلاح ويغمد السيوف »

صوت من الحى :

يا أنا ليلى بليلى حُدْ لقيسٍ بالحياة

إنه شاعرُ نجدٍ ونَجِيُّ الطّيّباتِ

صوت آخر: قيسُ أخٌ وابنُ عمٍّ وليس أهلا لذَمّ

نجمٌ أضاء بنجد سما على كل نجم

هبوه جُنّ بليلى ليس الغرام بجُرم

« منازل : حيث يستقبل الجمعين خطيباً »

إن قيساً معترَ الحى أخٌ وابنُ عمٍّ أفمنه تبرأونْ ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً شاعرُ البيد الذى لا يُجارَى أفأنتم مُنكِرونْ ؟

أصوات . لا وربِّ البيت

منازل : أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً سيِّدٌ من عامرٍ وابنُ سادات ، أفيه تمترون ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً قد بنى المجدَ لكم ولنجدٍ أبقيسٍ تكفرون ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغُوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنونْ
إن قيساً كاملٌ فى عقله أوَ آنستم على قيسَ الجنون ؟

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل : أصغُوا لى إذنْ ثم ظنوا كيف شئتم بى الظنون
أنالم أعدِلْ بقيسٍ شاعرا لا ولا أنتم بقيس تعدِلون

أصوات : لا وربِّ البيت

منازل :

أصغوا لى إدنْ ثم ظنوا كيف تلتئم بى الظنون
أنا فى وُدى وإعجابى به لا يدانينى الرواةُ المعجَبون
شعرُه يبقى ويفنى غيرُه ليس كلُّ الشعر تَرويه القرون
شعرُ قيس عبقرىٌّ خالدٌ ليته لم يتحلَّله المجُون
ولو أن المتحى شاعرٌ غيرُ قيسٍ أوشك الخطب يهون
رُبَّ شعرٍ قال فى ليلى ، به هتف البدْوُ وضجَّ الحاضرون
إنى أخشى عليكم عارَه رُبَّ عارٍ ليس تمحوه السّنون
ضجرتْ ليلى وصجّت أمُّها وأبوها وتأذّى الأقربون
وغَدا كلُّ فتى من عامِرٍ حين يلقى الناسَ ، مَحنِيَّ الجبين

« أصوات كثيرة »

هو ما قلت

منازل : إدن ما بالُكم لم تثوروا، مالكم لا تغضبون؟
هو ذا قيسٌ مع الوالى أتى يطأُ الحىَّ وأنتم تنظرون
وأبو ليلى امرُؤٌ أدرِى له رِقَّةَ القلب وأخْشى أن يلين

بعدَ حينٍ يعبثُ القومُ بكم ومن الحى بليلى يخرجون
آن يا قومُ لكم أن تعلموا أن قساًهتك الخدرَ المصون
قيسُ لم يترك لليلى حُرمةً ماالذى أنتم بقيسٍ فاعلون!

صوت : ماجِنٌ لا بدّ من تأديبه

صوت آخر: إن بالسَّوْط يُرَنّى الماجنون

صوت : نأخذُ الحىَّ عليه

آخر : ولنقفْ دون ليلى وحماها كالحصون

مازل : حلَّل السلطان بالأمس لكم دمَ قيسٍ ما الذى تنتظرون!

صوت : حلَّل السلطان بالأمس لنا دمَه

« أصوات أخرى »

إنا بقيسٍ فاتكون

« ضجيج واندفاع »

صوت : مُنازِ يابنَ العم ماهذا الخبرْ! رفعتَ قيساً فجعلتَه القمرْ
والآن أغريتَ بقتله الزُّمَرْ كفعل جزار اليهود بالبقر
برّأها من العيوب وعقَرْ!

« يصعد بشر منبرا للخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس »

قائل : إرجعوا يا قومُ هذا منبرٌ وخطيب

To: www.al-mostafa.com

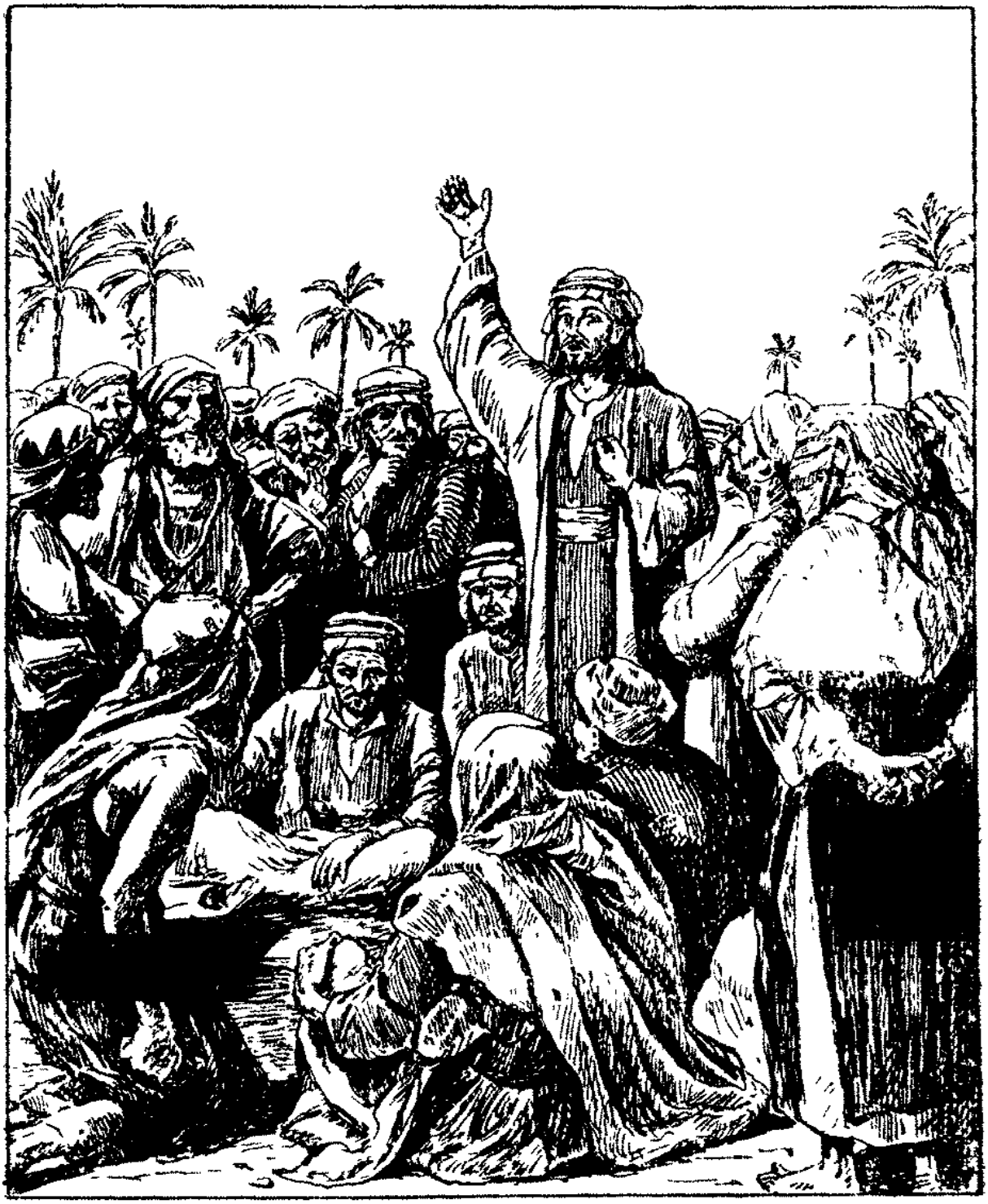

« حلل السلطان بالأمس لكم دم قيس ما الذى تنتظرون ؟ »

(صفحة ٥٥)

يسأل أحدهم: ليت شعرى من يكونْ !

آخر : أو أعمى أنت هذا بشرُ

آخر : هل يحسن الخُطبة بشرٌ ويُبين

« يحاول منازل أن ينسل من الجماهير »

بشر :

قف منازِ اسمع سمعتَ الرعد من حابىْ صاعقةٍ فيها المَنون
وسمعتَ الذئبَ فى جَوْز الفَلا وسمعتَ الليثَ فى جَوف العرين
أخطيبٌ أنت أم خطبٌ وإن لم تَهُن والخطبُ أحيانا يَهُون

منازل صائحا: بشر . . .

بشر : قف !

منازل :

مالك يا بشرُ ولى ؟ إن حربَ الأهل والصحب جُنون

بشر :

لِمْ إذن حاربتَ قيساً لم تصن حرمةَ ابن العم أو حقَّ الخَدين؟

منازل : قلتُ بشرُ الحق

بشر : خلِّ الحق ما أنت والله على الحق أمين

إنما أنت لقبسٍ حاسدٌ منطوى الصدر على الحقد المَهين
كلما حدّثتَ عنه عامراً قرأتْ فى وجهك الداء الدفين
ترسِلُ الرفة نتلو أختَها وتَفُشُّ الصدر من حين لحين

يا منازِ يانن عمّى أصع لى
أنت دونٌ أنت دون أنت دون !

منازل : دعونى

نسر من النسر : دعونى فلا بدَّ لى

رجل : أناتَك لا بد أن أقتله

منازل : دعونى

نشر : دعونى

رجل : دعوه اتركوه

آخر : ومن كتّفَ الندلَ أو كبّله ؟

منازل : دعونى

رجل : دعوه

آخر : كلا البطلين يقولُ الوعيدَ ولن يفعله

بشر : دعونى

رجل : تقدَّمْ

منازل : دعونى

رجل : انطلق

بشر : دعونىَ

رجل : حثْه

منازل : دعونى

رجل : إمش لهْ

آخر : تنحّوْا وخلّوا سبيلهما ولا تخشوْا الوقعةَ المقبلهْ

بشر : منازلُ فى عقله كاملُ

منازل : وعقلك يا بشرُ ما أكملهْ

بشر : أنذروعلى الحىّ رَهْوَ الديوك وتقفزُ كالأكدش المرسلهْ

وتَملَقُ رأسى كرُمانة وأفلقُ رأسك كالحنظله

فماذا يردُّ عليك العويلُ ومادا انتفاعىَ بالولولهْ ؟

زياد : منازلُ كنت كثيرالكلام ووالله ماقلتَ الا الكذبْ

صوت :أتزعمهُ كاذبا يازيادُ وقـــــد ذاد عن حُرُمات العربْ ؟

زياد : رويدَك لا تنخدِع يافتى ولاتأخذ الأمرَ دونَ السببْ

فلم يبعِ الا خداعَ الجموع وجلْبَ الطنون وخلْقَ الرِّيبْ

وأثّر فيكم وفى آخرين وأفرغ فيكم سُمومَ الرُّقُبْ

صوت :منازلُ دافعَ عن سُنَّةٍ مُعظّمةٍ من قديم الحِقب

زياد : تأمل منازلُ سُخْطَ الجموع وحهلَك ماذا عليهم جلَبْ!

أحل قد غصتَ ولكنما لنفسك لبس لليلى الغضب

تحضُّ على قَتل قسَ الرحالَ لتحظى بليلى إدا ما ذهب

أصوات:يُريدُ ليحطى بليلى ؟

زياد : نعم !

صوت : تكلمْ

صوت آخر: أبنْ

ثالث : إن هذا عجب !

زياد : ألمْ يَكُ يَغشَى النَّدِىَّ ويطلبُ ليلى أشدَّ الطلب؟

« صوت يخاطب المهدى »

إذن كان يحطبُ ليلى؟

المهدى : نعم !

صوت : إذن قد تجنّى

صوت آخر : إذن قد كذب !

زياد : منازلُ قل لهموكم صرء ت لليلى وكم أعرصتْ لم تُجبْ

صوت : منازلُ احدعْ وغُشَّ غيرى

آخر : قدحازَ الا علىّ كِذْبُكْ !

ثالث : ما أنتَ إلا جوِ شقىٌّ تحبُّ ليلى ولا تُحِبُّكْ !

« تحدث صحة حول منازل ويقف ثلاثة رجال فى ركن قصى من أركان المسرح »

« يتحدثون »

الأول: قد اختلف الحىُّ فى أمر قيسٍ وليلى فكلٌّ له مذهبُ

وأنت الى أىِّ رأى تميلُ وأىَّ الفريقين ستصْوِبُ

الثانى : إذا صدقت نظرتى فى الأمور ولى نظرةٌ قلما تكذِبُ

منازلُ غادٍ على خيبةٍ وقيسُ على فضله أخْبب

وقد يُخفقان ويلقى النجاحَ غريب له فيكمو مأرب

الاول . غريب ؟

الثاني . أحل من نواحي ثقيف

الاول : ومن داك ؟

الثاني : وردُ

الاول : وما بطلب !

الثالث : رأينه في الحي يمشي الحياء وفيل أتى عامرا يحطُبُ

الاول : ولِلى ابنة الشيخ ما رأيُها أمَامن حساب لها يُحسب؟

الثاني : أراها وإن لم نَحطَّ الشبابَ عجوراً على الرأى لا تُغلب

تصون القديمَ وترعى الرميمَ وتُعطى النقاليدَ ما توجب

وبالجاهليه إعجابُها إذ قل بالسلف المعجَب

ومن سُنّة البيد بضُ الأكفّ من العانقين اذا شتّموا

فلا تعجبوا إن جرى حادثٌ يُحدث عنه ويُستغرب

وإن رصيَتْ وردَ بعلا لها وقدسُ الأحبّ لها الأقرب

فيا طالما التمست مهرنا وأرضُ ثقيفٍ هي المهرب

مبارك : بني عامر لا تُضيعوا الحُلومَ فان الأناة بكم أجملُ

هبوا لىَ آذانكم إننى أجدّ وصاحبُكم يهزِلُ
خطبتُ وأخطبُ ليلى عدا وما لىَ يا قومُ لا أفعلُ
وقد نُعرِضُ اليومَ لبلى فلا أضيقُ ، عسى فى غدٍ تُقبِلُ
ما قيسُ أحدرُ منى بها ولا هو خبرُ ولا أفضل

زياد : إليك منازلُ ! لا تترِكْ بقيسٍ فقد سئمت المنزلُ !
ولا يسنوى الشاعرُ العبقرى ومن هو من نافلٍ أنفلُ !

منازل : وما أنت ؟ بيّنْ لنا يا زياد

« زياد — ممسكا بذراع منازل »

ستعلم منّى ما تجهل هلمّ منازِ . هلمّ الصراعْ !
وودّعْ صلوعَك وانعَ الذراعْ

منازل : خلِّ زيادُ حلِّ عن ذراعى

زياد : سألتَ ما أنت ؟ فأصغِ وعِ
إنى انا مُمزِّقُ الأضلاع !

« ثم يجره من ذراعه ويمضى به الى خارج المسرح »

صوت : ماذا يكون يا ترى ؟

آخر : هيّوا نرى هيووا نرى

« آخر وهم يتدافعون »

زيادُ غـــــــيرُ هازل

آخر : نوحوا على منـــــازل

آخر : حمـــــامةٌ وبارِ ! ـــــ

آخر : هلكتَ يا منـــــازِ !

آخر من بعيد : إهرب من البرازِ

« يخلو المسرح الآن الا من المهدى وابن عوف »

« ونصيب ثم تسمع صرخة من وراء الشجر »

مهدى : ما بقيسٍ يابنَ عوف ؟

ابن عوف: انه مغمّى عليـــــــه

مهدى : قيسُ لا بأسَ عليـك كبّروا فى اذُنيْه

« صوت من وراء الشجر »

الله أكبر الله أكبر

« ابن عوف لنفسه »

سدًى كبّروا ماذُقْ قيس مفيقةٌ وإن سكبوا فيها أذانَ بِلال

ولـكن على ليلى يُفيقُ وشبهها إذا ما بدتْ ليلى بشكلِ غزال

ويصحو على ليلى إذا رددّاسمها وراءَ بُيوتٍ أو وراءَ رِحال

الهدى :

دَمُ الوُدّ والقُربَى وإن كان ظالما ... عزيزٌ علينا أن نراه يسيلُ
وإنى لانسانٌ وإنى لوالدٌ ... ولى مذهبٌ فى الوالدين جميل
فرفقا بقيس يا أميرُ ونَحِّه ... بعيدا لعل الشرَّ عنه يزولُ

ابن عوف :

أناةً أباليلى وحِلما ولا يَكنْ ... عليك لطغيان الطنون سبيلُ
رددتم ركابى واتهمتم زيارتى ... وأجلبَ فِتيانٌ وضجّ كهول
تأملْ تجدْ جَمعا مَغيظا وكثرةً ... تصولُ وما تدرى علامَ تصول!
رءوسٌ تنزّى الشرُّ فيها وراءها ... نفوسُ دئابٍ ما لهنّ عقول
تَطَلَّبُ أن يُلقى اليها بجُثّةٍ ... على غير حوعٍ أو يُساقَ قتيل
نواظرُ ما يأتى به اليومُ من دمٍ ... وإن لم يُساورْها صدًى وغليل
نزلتُ فلم أكرَمْ فهل أنت مُتبعى ... وقومُك نارَ الطَّرْدِ حبى أميل؟
أبَيْتُم علىّ القولَ قبل استماعه ... فلم تُنصفوا والمنصفون قليل
فهل لى أبا ليلى بناديكَ وقفةٌ ... فان الذى قد حثتُ فيه جليل
وما أنا مرءٌ السوءُ أو رجلُ الأذى ... ولكنْ سفيرٌ خيّرٌ ورسول

ولم أتخذ حاهَ الأمور ذريعةً ألا إنما حاهُ الأمور يزول

المهدى :

نقبتم بحر يا وُلاةَ أميـةٍ ولا زال يقوى ركنُـكم ويطول

« مشيراً الى باب الخباء »

هنا مجلسٌ نأوى اليه لعلني أقولُ صوابا أو عساك تقول

ومَمَّ ترى ليلى وتسمعُ قولَها وليلى لها رأىٌ يُساقُ جميل

فسلْها عسى أن نهتدى ماحوالُها إباء وردٌّ أو رضى وقبول

« يهم ان عوف بخلع نعليه »

المهدى : أتخلعُ نعليك؟ لا يابنَ عوف نَشَـدتُك بالله لا تفعلِ

أتمشى الى مترلى حافيـا فديتُك ، من أنا؟ مامنزلى؟

ابن عوف :

خلعتُهما وانتعلتُ التراتَ الى حَيْمـه السيِّد المفضلِ

« تصيب : متدخلا »

دعْه يا مهدىُّ يفعـل إنمـا يَرمى لمعنى

كالحسـينِ بنِ عليٍّ هو بالعشـاقِ يُعنَى

الحسينُ انتعل التربَ الى والد لُمنَى
فرآه حافيا فى سا حـة الدار فجُنّا
فال لا أملِك يابن المصطفى بدتاً ولا ابنا
أنت فى الدار أميرٌ فبما شئتَ فمُرنا

« ليعسه »

يادهر دُرْ بمـــا تشا وياحوادثُ اهرِلى !
ويا وظيفـةُ اعرُبى ويا حرايةُ ارحـــلى
يبعى ابنُ عوفٍ أن يكو نَ كالحسيْن بن على !

« يدخلان وينادى المهدى : »

هو الضيفُ ياليلَ هاتِ الرُّطبْ وهاتى التّواءَ وهاتى الحَلبْ
وهاتى من التمر ما يُشتَهى ومن سَمنَة الحىّ ما يُطَّلَبْ
فما هو صيفٌ ككلّ الصيو فولكن أميرٌ كريمُ الحَسب

« ليلى من وراء حجاب »

أبى ألف لبّيْك !

ابن عوف: لا بل قفى فما بى ظَمأ ولابى سغَبْ

وأعلَمُ أن القِرى دِينُكم وأنَّ أباكِ جوادُ العربْ

ولـــكن طعامى

المهدى : مادا ؟ اقتَرِحْ

ابن عوف: طعامُ الرسول بلوغ الأرَبْ

المهدى : إدن قِفى ليلى اقرْبى -

« تظهر ليلى من وراء الستر »

تقـــــــــــــدّمى ورحّبى

حلَّ ابنُ عوفٍ دارَنا

ليـــلى : أكرِمْ به وأحبِبِ !

قد زارنا الغيثُ فأهـــــــلاً بالغمام الصَّيِّب

ابن عوف: أهلاً بليلى بالجمال بالحـجى بالأدب

عشتِ وقيساً فلقد نوَّهتما بالعـــــرب

« ليلى — بين الخجل والغضب »

أتَقْرِنُ قيساً بنا يا أميرُ ؟

ابن عوف : ولِمْ لا وقد جئتُ من أجْلِهِ

ومَنْ أنا حتى أضُمَّ القلوبَ ... واعطفَ شكلاً على شكلِهِ
لقد جمعَ الحبُّ رُوحيكما ... وما زالَ يجمعُ فى حبلِهِ

« ليلى : فى استحياء »

أجلْ ياأميرُ عرَفتُ الهوى

ابن عوف : ... فهلاّ عطَفْتِ على أهلِهِ ؟

« يلتفت الى المهدى »

أنا العامريّةِ قلبُ الفتاةِ ... يقول وينطقُ عن نُبْلِهِ
فأصغِ له وترفّقْ به ... ولا يَسْعَ ظُلمُك فى قتله

المهدى : أأظلم ليلى ؟ معاذَ الحمان ! ... متى حار شيخٌ على طفله ؟
هو الحُكْمُ ياليلَ ماتحكمين ... خُذى فى الخطاب وفى فصلِهِ

ليلى : أقيساً تريد ؟

ابن عوف : نعم

ليلى : إنه ... مُنَى القلب أو مُنتهَى شُغلِهِ
ولكن أترضى حجابى يُذَالُ، ... وتمشى الظنونُ على سِدْلِهِ
ويمشى أبى فيغضّ الجبينَ، ... وينظرُ فى الأرض من ذُلِهِ

يدارى لأجلى فُضولَ الشيوخ، ويقتلُنِي الغمُّ من أجله
يمينا لقيتُ الأمرَّيْنِ من حماقة قيسٍ ومن جهله
فُضِحتُ به فى شِعابِ الحجازِ وفى حَزْنِ نجدٍ وفى سهله
فخذْ قيسُ ياسيدى فى حماك

« فى حياء وإباء »

وألْقِ الأمانَ على رَحْلِهِ

ولا يَفتكِرْ ساعةً بالزواج ، ولو كان مَرْوانُ من رُسْلِه

ابن عوف:

إذن لن تقبلى قيساً ولن ترضَىْ به بعلا
إذن أخفق مسعاىَ وخاب القصدُ ياليلى

ليلى: على أنك مشكورٌ ولا أنسى لك الفضلا
وأوصيكَ بقيسَ الخيرَ لا زلتَ له أهلا
لقد يُعوِزُه حامِ فكُنْه أيها المولى

« تلتفت الى أبيها وكأنما تحاول »
« أن تحبس فى عينها دموعا »

أبى كان وردٌ ههنا منذ ساعةٍ ففيم أتى ؟ ما يبتغى ؟

المهدى : حاء يخطُب

ابن عوف: ومن وردُ ياليلى وهل تعرفينه ؟

ليلى : فتى من ثَقيفٍ خالصُ القلبِ طيّبُ

أتى خاطباً بعد افتضاحى بغيره وعارى،أهذا يابن عوفٍ يُخيَّبُ؟

أبى : أين وردُ الآن ؟

المهدى : عند قرابةٍ من الحىِّ صمّوهُ اليهم ورحّبوا

فان شئتِ أرسلنا اليه

ليلى : إبعَثْ ادْعُه وجِئنا بقاضى نَحدٍ اليومَ يكتُب

ابن عوف :

تجاوزت ليلى غايةَ السُخْط فاذكرى

عواقبَ رأى قد رأيتِ سخيفٍ

ليلى متهكمة :

أكنتُ ابنَ عوف غيرَ أنثى ضعيفةٍ

تناهتْ لرأى فى الأمور ضعيف

ابن عوف :

أرى وقفتى ياليلَ كانت شريفةً ولكنْ جزائى كان غيرَ شريفِ

ليـلى :

أنظِّفُ ثوبى يا أميرُ فطالما ظهرتُ به فى الحىِّ غيرَ نظيف

ابن عوف :

لئن كنتِ ياليلى بوردٍ قريرةً فانى على قيسٍ لِجدُّ أسيف

« ثم يخاطب أباها »

الآن بحفظ الله يا سيدَ الحمى لقد طال لُبثى عندكم ووقوفى
ووُفِّقت يا ليلى

ليـلى :

لقدكنتَ سيدى حليفالقيس،هل تكونُ حليفى!

ابن عوف :

سألتِ مُحالاً إنما جئتُ خاطباً لورد القوافى لا لورد ثَقيف!

« يخرج من باب الخباء ويشيعه »
« المهدى الى ما وراء شجر البان »

ليـلى :

رُبّاهُ ماذا قلتُ ! ماذا كان مِن شأن الأمير الارْيَحِىِّ وشانى ؟

فى موقفٍ كان ابنُ عوفٍ مُحسناً فيه وكنت قليلةَ الاحسان
فزعمتُ قيساً نالى بمَساءةٍ ورمى حجابى أو أذالِ صيانى
والنفسُ تعلَمُ أن قيساً قد بنى مجدى وقيسٌ للمكارم بان
لولا قصائده التى نوّهن بى فى البيد ما علمَ الزمان مكانى
بجدٌ غداً يُطوَى ويفنىَ أهله وقصيد قيسٍ فىّ ليس بفان
ما لى عِضِبْتُ فصاع أمرى من يدى
والأمرُ يحرجُ من يد الغضبان
قالوا انظرى ما تحكمين فليتنى أبصرتُ رشدى أوملكتُ عِنانى
ما زلتُ أهذِى بالوساوس ساعةً حتى قتلت اثنين بالهذيان
وكأننى مأمورةٌ وكأنما قد كان شيطانٌ يقودُ لسانى
قدّرتُ أشياء وقدّر غيرها حظٌّ يحُطّ مصايرَ الأنسان

« ستـــــار »

الفصل الرابع

المنظر الأول

« حول ديار بنى ثقيف ، فى قريه من قرى الحى ، حيث اجتمعت »
« طائفة منهم للحفاوة بقيس وهو مقيم على وحده صالا فى الفلوات ، »
« وبينهم ساب منهم فى ســكل إنسى جميل الثياب يتردى الحرير »
« من قرعه الى قدمه ، وعلى رأسه عقالان من الخرز المحلى »
« بالذهب ، هو الأموى سيطان قدس ــ الجميع ينشدون ويرقصون »

« نشيد الحى »

هذا الأصيلُ كالذَّهبْ يسيلُ بالمرأى عجبْ
على الوهادِ والكُثُبْ
لرقصُ يبعثُ الطربْ هلمَّ يا حنّ العربْ
هلمَّ رقصهَ اللهبْ إذا مشىَ على الحطبْ
نحن بنو جهنَّمـــا نعلِى كما تعلى دَمَا
ننـــور فى الأرضِ كما ثارَ أبونا فى السما
نحن بنو لجبـــارِ العـــلَم المنـــارِ

إبليسَ بكرِ النـــــار يا عرَّ من لهُ انتمى
نحن الرُّعُودُ القاصفهْ نحن الرياحُ العاصفه
والطلمـــــاتُ الزاحفه عرمرَماَ عرمرَماَ
لنـا وما لنا صُوَرْ نرى ونسمَعُ الشرر
ولا يَروْنَ من حصَرَ منـا ومن تكلما
نقول حينَ نصطدمْ سادةٍ أو بخدم
صمم صمم صمم صمم عمَى عمى عمى عمَى
هيد : فمَ احمعْنا هَهَنا ؟ يا عصْرَفُوتُ ما الخبر ؟
عصرفوت :لا أدْرِ . . . تلك صحةٌ حصرتُهـا فيمن حصَرْ
فسل أحاك عَسَراَ
هيد : ماذا همـاك يا عسَرْ ؟
عسر : نحن مسوقونَ الى ما لبسَ بدرِى كالبفرْ
الاموى : بى الجنّ فى أرضكم عابرُ من الإنس يرسُفُ فى ضُرِّهِ
فغـالوا به واعـلموا أنه فتَى بثَّه الشِّعْرُ من قدرِه
هيد : وأينَ تُرَى هـــــو ؟

آخر : ما ذا يكون

الاموى : ومادا يهمّك من أمره

ألم تعلموا أن لى صاحبا من الانس أحكُمُ فى شعره

هند : أحل أنت تُوحى له ما يقولُ وتقدفُ ما شئت فى فكرِه

الاموى :

إذن فاعلموا أنه عاشق تَمَلّأنْ البيدُ من ذكره

عاصف: وأعلم أن الهوى واحد حوى المسهامْين فى أسْره

وأن التى سحرت قلبه مدلّهةُ القلب من سحره

الاموى :

وانى لأكْفلُ ليلى له وأصرِفُها عن هوى غيرِه

سَهِرْتُ على طُهر لبلى الزمانَ ولم أغمِض العينَ عن طُهرِه

صرَفتُ عن الحب حتى الزواجَ وما قدَّسَ اللهُ من سِره

ولو أنّ عينى تَشفُّ القُبُورَ سهِرتُ على الحبِّ فى قبر !

عصفوت :

ومن يكون

الاموى :

قيس

عضروت: من قيس ؟

عاصف : وهل يخفَى القمرْ !

الشاعرُ الذى سحر والساحر الذى شَعَر

حَنجَرةٌ لنـــا وترْ منهـا وللأنس وتر

هبد : وما لنا يا عضروتُ ولِفتيانِ الستر ؟

وما لقِينـا منهمو ومن أبيهم غيرَ شر؟

عضروت : بى الجنّ اسمعوا أبِكم زكامٌ

جى : ولِمْ ؟

عضروت : نَتَنَتْ لعمركُموا الجِواء

آخر : وما فى الجو ؟

عضروتٍ : ريحٌ آدميٌّ

ففيه بَتانةٌ وله ذَكاء

إذا البشريُّ مرَّ علىّ يوماً فقَد مرّت علىّ الخُنْفَساء

حى : أجل بعداوةِ الشَرِ أبتُلِينا وطال بها التَرَمُ والعَناء
مضى بالكبر إبليسُ أبونا وكلُّ تراتِ آدمَ كبرياء
يَعيب رحالُهم فيقال عنا وتَدْفِنُ عارَها فينا النساء
وان عَجزَ المطبُ قال داءٌ من الحَيِّ ليس له دواء
وان قَفَزَ بصعارهمو فزلّت فما معشرَ الجنِّ البلاء
وخِفنا من أذاهم فاجتنبنا فما عصم الحجاب ولا الخفاء
وكم منعوذٍ بالله منا تعوذ الأرضُ منه والسماء!

عصرفوت: وقد تشكو من الناس التجنى وننسى ما جناه الأنبياء

حى : أَرُسْلُ اللهِ أيضاً من عِدانا

عصرفوت: أحل هم فى عداوتنا سَواء

بى فخماً سليمانٌ وصخماً ولولا الجنَّ ما نهضَ البناء
بنيما تدمرَ الكبرى بأيدٍ فهل تدرون ما كان الجزاء؟

حى : وما كان الجزاء ؟

آخرون : أبِنْ !

عصرفوت : عذابٌ

وسجن ما لمدّته انقضاء !

فتحتَ الماء

حى : تحتَ الماء ؟

عصروت: عانٍ

عليه طلاسم وعلده ماء !

وفى حوف القماقم لو علمم

آخرون : وما دا فى القماقم ؟

عصروت: آرياء !

حى : ومن ذا زجّهُم فيها ؟

عصروت: أميرٌ

علينـــــا لا يُردّ له قضـــاء

بى فهو عدلٌ حيث يُقضِى ومَلْكُ فهو يفعلُ ما تشاء !

عاصف : قدس يا قومُ مسكمو لبس قيسٌ من البشر

حى : قيس منا وإنما فى بنى عامرٍ ظهر

آخر : إننى قد رأيتهُ يتفلّى على الشجر

ثالث : وسمِعناهُ قد عوى عَوَّةَ الجنِّ واستتر

رابع : أنا أيضاً رأيتـــه ركِبَ الظبيَ فى السفر

عاصف ـ متطلعا : تعالَوْا فانظروا

« يتطلع الجميع الى حيث يطير »

حى : ماذا ؟

آخر : عجيبٌ

عصفوت : نرى شبَحاً يُدحرِجُه الفضاء

أقيسٌ دا ؟

عاصف : نعم هو فاستعدوا فقد وجب التحفزُ واللقاء

« هبط طير آخر »

تأمّلْ قبسا المضنى تحدّه من الدَّوبان أصبح كالخيالِ

الآخر : لقد صلّ الطريقَ أما تراهُ يُصفّق باليَدين و بالشِّمال ؟

وقد قلَبَ الثيابَ عليه نَهْجاً على عاداتِهم عند الضلال

« يظهر قيس ولمعون حوله ويسجدون »

سلامٌ مَلِكَ الحبِّ وسلطانَ المُحبينا

وأهـلا وعلى الرحبِ لقـد شُرِّفَ وادينـا
أتى الحنُّ من الوادى يُحيّـونَك بالورد
حدا ركبَهم الحـــادى الى نادبك من بُعْدِ

« يتلفت قيس ذات اليمين وذات الشمال »

رَبِّ الى أين انتهب بى السُّرى وأىَّ وادٍ أنزلتنى يا تُرى
عساىَ فى الشامِ لعلِّى جُرتُه أو أنا بالطائف أو أين أنا ؟
وهذه المُسوخُ حولى حِنَّةٌ أم عملُ الوهمِ وتهويلُ الكرى
لا ، أنا صاحٍ

« يتحسس جسمه »

هـذه رِجلِى وذِى يدى وذاك مُقلى يقظَى تَرَى
ولِم لا آمِنُ بالجن وأنْ تكون للجنّة كالناسِ قُرى؟
لا أدّعى معرفةً بعـالمٍ طاهرُه أكثر منه ما احتفى

« تمسح جبينه وتعيد النظر والتطلع »

تلك منَ الجنِّ لعمرى شِرذِمَهْ وهـذه خيلهمو المُسوَّمَـهْ
نعامة كالفرَس المُطهَّمَهْ وأربـدٌ مُسْرَجَةٌ ومُلجَمه
وقُنفُذٌ وظَبيةٌ وشَيْهَمَهْ

يا عجبا كلّ العجبْ ! الجنُّ منى عن كَثَبْ
سودٌ دقاقٌ فى العيون كالدُّخانِ فى الحطب
يحرحُ من أفواهها ومن عيونِها اللهب
من كل مَن حال بقَر بُه وصال بالذَنب

الجاد : دَعِ الحبَّ لا تَخش أذى أو نِسرَّةً منا
عَطفْتَ الطيرَ والوحشا فلِمَ لا تَعطِفُ الحِنا ؟
وسَلْ حسّان والأعشى وشيطانَيْهما عنا

الاموى :

تركتُ ورائى الشامَ لم أنتفعْ به ولا هو من سوقى القديم شفانى
وعدتُ الى نجدٍ أقاسى صبابتى ووحدى كأنى ما بَرِحتُ مكانى
تركتُك ليلى فانفحرتِ ليالبا مؤلفةَ الأسكالِ حدَ حِسان

فلم يَخْلُ سيْرى منك يوماً ولا السُرى
ولم يحلُ من تمثالِكِ القمران

على كل أرض من هواكِ سوارحٌ ملأنَ سبيلى أو مَلكن عِنانى
(وأجهشتُ للتوْناد حين رأينه وكبّر للرحمنِ حين رآنى)

« نبي الحب لا تخش أذًى أو شرة منـا »

(صفحة ٨٢)

(وأذريْتُ دمعَ العين لما عرَفْتُه ونادى بأعلى صوتِهِ فدعانى)

« يدنو منه قيس ويتأمله »

قيس : لنفسه : يا ويح عينى ما ترى ؟ وويحَ اذْنى ما تَعى !
وأين عقلى ؟ غاب عنى اليومَ أو عقلى معى ؟
الشعر لى مُذ قلتُه من شقتى لم يُسمَعِ
من دا الذى أوْحَى به لذا العلامِ المُدَّعى ؟

« تقترب من الشاب ويأخذ فى انتقاده »

عقالان يَمانيّانِ مِنْ وَشْى وعِقيانِ
يُضيئان كلمْحِ الشمس فى حلدةِ ثُعبان
وأين الشفقُ الأحمرُ من مِطْرَفِكَ القانى ؟
وقد تقرُب فى الروْ عةِ من أملاك غسّان
وقد تبلُغُ فى الشعر الى رقةِ حسّان
فما شأنك يا هذا ؟

الاموى : وما يَعنيكَ مِن شأنى ؟

قيس : أرى سارِقَ أشعارِ جريئاً ما له ثانِ

فقد يُسطَى على بيتٍ وقد يُسرَق بيتان
ولا يَنتحِل الإنسان أبياتاً لإنسان
وما أنشَدْتَ من شعرٍ فمن صنعى وإحسانى
ولم أهتفْ به بعدُ ولم تَسمعه اذْنان
فمَن أنت ومِن أين أتتْ اذنيك ألحانى ؟

الاموى : أنا الملقى عليك الشعرَ مِن آنٍ الى آن
أنا الهاجس والشيطان

قيس : لا ، لا ، لستَ شيْطانى

« ثم يناجى نفسه »

أحلْ سمِعتُ باسم شيطانى ولكن لم أرَهْ
أبى وأمى حدّثانى فى الليالى خبرَهْ

« يعود الى خطاب الأموى مترددا »

ألستَ أنت الأمويَّ ؟

الاموى : لا تخَفْ أن تذكرَه

قيس : ما أنت إلا صورةٌ فى عصبي مُصوَّره

وعبثٌ لو كان عقـــــلى حاضراً لأنكره

« قيس ـ وهو يبكت الارض بعود »

ويحى أقيسٌ واحد أم نحن قيسان هنا ؟
وأينا الشاعر هذا الأمـوىُّ أم أنا ؟
أم الذى بى وبه من عَبَثِ السحر بنا ؟
أم أنا محنون علَـــــىّ حبُّ ليلى قد حنى

الاموى : قيسْ

قيس : لبيكَ قيس

الاموى : ما أنا قيس

قيس : من إذَن ؟

الاموى : قلتُ إنَّنى شيطانُهْ

قيس : قيس من آدمٍ ما أنت منه

الاموى : أنا من قيس عامرٍ وجدانُهْ

قيس : أنت وجدانى؟ إستعذتُ بربى منك

الاموى : لا تستعذ به جلّ شانُهْ !

هكذا شاء: كلُّ شاعر قومٍ عبقريُّ اللسان نحن لسانه

« قيس مشيحا بوجهه ومطرقاً »

يا عجبا أصبحَ بالجنِّ لســـــانى يعمرُ !
وصرتُ ينهى ماردٌ على فمى ويأمرُ
ما للسانى لا يطولُ ؟ ما له لا يقصرُ ؟
يا ليت شعرى كيف لا يحرُجُ منه الشرَرُ ؟

« الأموى ـ واضعا يده على كتف قيس »

علامَ قيس فيم أنـــت مُطرقٌ مفكِّرٌ ؟
فى خبرى ؟

قيس : أجل وما صدقتَ فيما تُخبرُ
ليس لســـانى مارداً إن لســـانى بشَرُ

الاموى : قل وحدك الشعرَ إذن !

قيس : تطنى لا أقْدِرُ ؟

الاموى : جرِّبْ إذَن قلْ أرنا يا قيسُ كيف تَشْعُرُ !

قيس : وما تُحبُّ ؟

الاموى :

قريةُ الجنِ وهـــذا المنظرُ

أليس فيما أنت راءٍ قيسُ ما يؤثِّر ؟

قيس : إسمع إذن يا أمويُّ !

الاموى : إنى أنتظر

قيس : وحوهُ تَصوّرُ ، وفضاءٌ يزهرُ ، ورمال فى مطارح البصر تزخَرُ !

وقريةٌ تموجُ بالجنِّ كأنها عَبْقَرُ !

« الأموى صاحكا »

قه قه ! تعالَوْا واضحكوا !

« تضحك جماعة من الحى »

قيس فى غضب : قه قه . . أمنِّى تسخَرُ ؟

الاموى : ما هكذا ياشاعر الـــبيدِ البيوتُ تُكْسرُ

جى آخر : إنك لا تَنْظِمُ يا قيس ولكنْ تنثُرُ !

الاموى : مالك قيسُ مُفحَماً هذا لعمرى الحَسَرُ !

لا يُفحَمِ الشاعرُ لـكن يُفحم الشّـوَيْعِرُ
مالك كالعُودِ الذى أدبرَ عنـه الوتَرُ ؟
ما للقوافى الآنسانِ منكَ قيسُ تنفِرُ ؟
كيف ترى لسانَك الا آن

قيس : علبـه حجرُ !

أنتَ على منـاعرى وشعرىَ المسيْطِرْ !
إن عبت عاب خاطرى و إن حصرتَ يحصُرُ

الاموى : الآن لاتُنكرُنِى قيس وكنت تُنـكِر !
عجِبْتَ كيف يخفى الجنُّ وكيـف تظهرُ
يا قيسُ هـذا عالمٌ طِينتُه التحـبُّرُ
تطغَى على رائدها صحْـراؤه وتعمُرُ
وعايةَ المُعْنِ فى نظامهِ التحـيّرُ
مهما علِمت عنه فالد ى حهِلْتَ أكثرُ !

قيس : يا أخَا الحنّ لئن كنتَ أخًا لى وخليلاً
أنا فى أعمـاءِ أرض لا أرى فيها السبيلا

الاموى : أين تبغى قيس ؟

قيس : ليلى كن الى ليلى الدليلا

الاموى :

ملْ يميناً با أبا المهـــــدىِّ ثم امشِ قليـلا
تجـد المرلَ والمـــــا ءَ الذى بَشفى العليلا

« نطاق قيس آحداً نسمه مهرولا »

المنظر الثانى

« فى حى بى ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قميل ــ »
« ورد مضطجع على الرمل وبجانبه يجلس رفيق من رفاقه ــ يقترب قيس »

قيس : إن قلبى لمحـــــبرى أن هاتيـكَ دارُها
أبا بالطـائف الدى قـرّ فيـــــه قرارها
فى ثقيف تنقـلى وثقيف ديارهـــــا
ما لساقى جَرَرْتُهـــــا فتعـــــابى انحـرارُها
ولقلبى يقـــــول لى قد تدانى مزارُها
كيف لا أهتـدى لليـــــلى وفى القلب نارها

ليت ليـلاىَ نُبِّئتْ أننى اليومَ حارها

« يتبين وردا وصاحبه »

عجبٌ !هُديت الدارَ بعد صلالة ما كان شيطانى علىّ كذوبا

هذى منازلُها وذلك بعلُها نعشَتْ الىّ ديارُ ابلى الطّبا

هذا عريمى وردُ أشقرَ كاسمه انراه أُلدس جلدَه مقلوبا !

ما بالُه افترش الأديم كأنه نغلٌ يُعفّر فى التراب حنوبا !

« رفيق ورد »

ورد أرى من المدَى القريبِ شخصاً يدبُّ نحونا كالذيب

على خُطاه خَشيةُ المُريبِ

ورد : لِمْ لا تقولُ حَيْرة الغريب

لعـله ابنُ سبيل يمـرُّ بالحى مَرّا

إنى أراه ســـــقيما يحرُّ ســاقبْه حرا

« ينهض من رقدته قلقاً »

الرفيق: عرفتَ مَن هو ؟

ورد : قدسٌ به الغـــــرامُ أضرّا

الرفيق: قيس ؟

ورد :أجل

الرفيق: كيف أفضَى اليك ؟ كيف تجرّا

ورد : دعى وقيساً وشـأنى لعل فى الأمر سرّا

« ينصرف الرحل ويلاقى ورد وقيس »

قيس : أهذا أنت وردَ بى ثَقيفِ ؟

ورد : نعم والوردُ ينبتُ فى رباهـا

قيس : ولِمْ سُمِّيتَ وردا لم تُلَفّـْ بقلاّم العشيرة أو غَصاها !

« ورد ــ فى سكون وحلم »

وما ضرّ الورودَ وما عليها ؟ إذا المزكومُ لم يَطعَمْ شذاها

قيس : (بربّك هل صممْتَ إليك ليلى قُبَيلَ الصبح أو قَبلتَ فاها؟)

(وهل رمّتْ عليك قرونُ ليلى رفيفَ الأُقحُوانَةِ فى بداها؟)

« ورد ــ بعد فترة سكون »

نعم ولا ياقيس

قيس : بل لا بدّ من لا أو نعمْ

ورد : هبْها نعمْ يا قيسُ هل مع الحلال من تُهَمْ ؟
المرْء لا يُسأل : هل قبّلَ أهله ؟ وكم ؟
أحل لقد قبّلتُها من رأسها الى القدم

قيس عاضاً :

تلك لعمرى قُبلةُ الحُمىّ بلاءه وسقمْ !
أو قُبلَةُ الذئبِ إذا الذ ئبُ على الشاة جثمْ

« يتراجع قليلا وكأنما يحدث نفسه »

قلبى يقول لىَ : لا ! يا صدْقَهُ فيما زعم !

ورد : إذن تعالَ قيسُ واسمعْ فى أناةٍ وكرمْ
لا تحكمنّ العصبَ الجائرَ بيننا الحكَمْ
إسمع حديثى إنه ما خطَّ مثلَه القلم
وسِرُّه لا الأهلُ يد رون به ولا الخدَم
أنا الذى ظُلِمتُ قيس ما أنا الذى ظَلَمْ
أليَّةً وما علىّ لك يا قيس قَسَمْ
كم مرَّتِ الليلةُ بى والليلتان لم أنم
منذُ حوت دارىَ ليلى ما خلوْتُ من ندَم

كانت إطافتى بها كالوثنىِّ بالصَّنم
وربما حئتُ وِرا شهَا فخاننى القدم
كأنها لى مَحْرَمٌ وليس بيننا رَحِم
شعرُك يا قيسُ حنى علىّ هذا واجترَم
هيّهَا فامتنعتْ كأنها صيدُ الحرَمْ
وهمَتُها للحبّ والشعرِ وفبسٍ والألم

قيس : ولكن تعالَ سَرىَّ تُفيضِ أَبِنْ لىَ ما لم تُبيّنْ تعالَ
تقولُ لقيتَ بشعرى الشقاء وجرّ عليك بيانى الوبالا
لقد قلتَ قولا فأوْجزتَه فبالله إلا شرحت المقالا

ورد : إذن . أَصغِ قيس

قيس : قل الصدقَ وردُ

ورد : وهل كان لى الصدقُ إلا خلالا
فلولاك ما اخترتُ الا تَقيفاً ولم أُلق للعامريّات بالا
ذهبتُ بشعرك منذ الشبابِ اغنّى القِصار وأروى الطِّوالا
أرى بين ألفاظِه ظِلَّ ليلى وألمحُ بين القوافى الخيالا

To: www.al-mostafa.com

فلما رُدِدْتَ وقيل القصائد ... والعشقُ بين المحبَّيْن حالا
حرجتُ الى حيِّها خاطبا ... ولم أدَّخِرْ ذون مسعاىَ مالا
بنيْنُ بها فتهيَّبتُهـــــا ... وأىُّ امرىءٍ هاب قبلى الحلالا
فشعرُك ياقسُ أصلُ البلاء ... لقيتُ به و بليلى الضـلالا
كساها جمـالا فعُلِّقتُهـا ... فلما التقينا كساها جلالا
إذا حثْتُها لأنالَ الحقـوقَ ... نهتْنى قداستُها أن أنالا
أمْسِكْ أبا المهدى !

« يستحيل كلامه الى همس . اذ تبدو ليلى على باب الخباء »

أنظُرْ هذه ... ليلى علينا طلعتْ من الخبا

« ثم ينادى بصوت متهدج »

ليلى تعالىْ أسرعى قيسٌ أتى ... ليلى هنالكِ ، مَنْ تحبِّين هنا
قيس : أمازحٌ باوردُ قل لى أنت أم ... تَسخَرُ منى أم تُرَى تهزَا بنا؟
ورد : بل قلتُ جدًّا لم أقل مُهازلا

« قيس ــ هاما بالذهاب اليها »

إذن فدعْها لاتُجشِّمْها الخُطا

« ورد ــ وليلى تقترب »

إسمعْ أناالمهدىّ همسَ خطوها ... كأنه وَطْءُ الغزال فى الحصا
دعوتُ فاهتمّتْ ولولم أدْعُها ... لوَجَدتْ ريحَك من أقصى مدى
قيسُ تنبّتْ واسنعدّ، هى ذى ... أتتْ، فلا يذهبْ بلُبّك اللقا
الآن أمضى لسبيلى

قيس : بل أقِمْ ... إلبثْ أعنىّ، إننى خُرنُ قُوَى
ورد : قيسُ أرى الموْقف لا يجمعُنا ... أنت حبيبُ القلب، والروحُ أنا
يا لكما مى ويا لى منكما ! ... نحن الثلاثهَ ارتطمنا بالقصا

« ينصرف وتمل ليلى على قيس »

قيس : ليلاى ، ليلى القلب

ليلى : قيس مالى ... دارتْ بى الأرضُ وساء حالى؟
قيس : فداك ليلى مهجتى ومالى ... من السّقام ومن الهزالِ
تعالىْ أشكى لى النوى تعالِى ... ألفى ذراعيك على خيالِ

« تصافحه بشوق »

ليلى : أحق حبيبَ القلب انت بجانبى ... أحلمٌ سرى أم نحن منتبهان ؟
أبعد تراب المهد من أرض عامرٍ ... بأرض ثقيفٍ نحن مغتربان؟

قيس : حنانيكِ ليلى ، ما لِحلٍّ وخِلّه من الأرض الا حيث يجتمعان
فكلٌّ بلاد قرّبتْ منكِ منزلى وكلُّ مكانٍ أنتِ فيه مكانى

ليلى : فمالى أرى حدّيْكَ بالدمع بُلّلا أمِنْ فرَحٍ عيناكَ تنتدران

قيس : فداؤك ليلى الروحُ من شرِّ حادثٍ
رماكِ بهذا السُّمّ والذّوَبان

ليلى : ترانى إذن مهرولةً قيس؟ حمّدا هُزالى ومَن كان الهزالَ كسانى

قيس : هو الفكرُ ليلى ، فيمن الفكر ؟

ليلى : فى الذى تخنّى

قيس : كفانى ما لقيتُ كفانى

ليلى : أأدركتَ أن السهم يا قيسُ واحدٌ
وأنّا كلينا للهوى هدفان ؟

كلانا قيسُ مَذبوحٌ قتيلُ الأبِ والأمِّ
طعينان بسكّينٍ من العادة والوهم
لقد زُوِّجتُ ممّن لم يكن ذوْقى ولا طَعْمى
ومن يكبُرُ عن سنّى ومن يصغُرُ عن علمى

عريبٌ لا من الحىِّ ولا من وَلد العـــــمِّ
ولا ثروتُهُ تَربِى على مال أبى الجَـــمِّ
فنحن اليومَ فى بيت على صِـدَّيْن مُنصَمِّ
هو السجنُ وقد لا يـــــنطوى السجنُ على طلم
هو القبرُ حوى مَنْـــــن حارَيْن على الرّمم
سنيتين وإن لم يَمـــــعْدِ العَظْمُ من العَظم
فان القرب بالرُّوح وليس القربُ بالجسم

قيس :

تعالىْ نَعِسْ ياليلَ فى طل قَفْرَةٍ من البيد لم تُسقَلْ بها قدمان
تعالىْ الى وادٍ خَلِىٍّ وجَدْولٍ وربّةِ عُصفورٍ وأيْكَةِ بان
تعالىْ الى ذكرى الصِّبا وحنونه وأحلام عيشٍ منْ دَد وأمان
فكم قُبلة ياليلَ فى مَنْعة الصِّبا وقبلَ الهوى ليست بذات معان
أخذْنا وأعطيْنا إذ البَهْمُ ترتعى و إذ نحن خلف البَهْم مستتران
ولم يكُ ندرى يومَ ذلك ما الهوى ولا ما يعودُ القلبَ من خفقان
مُنَى النفس ليلى قرّبى فاك من فمى كما لفّ منقاريْهما غَرِدان

نَذُقْ قُبلةً لايعرِفُ البؤسَ بعدها ولا السُّقمَ رُوحانا ولاالجسدان
فكلٌّ نعيم فى الحياة وغبطة على شفتينـــــا حين تلتقيان
ويحقُقُ صدرانا خفوقا كأنما مع القلب قلب فى الجوانح تان

« تنفر ليلى »

ليـلى : وكيف ؟

قيس : ولِمْ لا ؟

ليـلى : لستَ ياقيسُ فاعلا ولا لى بما تدعو اليه يدان

قيس : أتعصِيمى ياليلَ ؟

ليـلى : لم أعصِ آمرى ولكنّ صوتاً فى الصمير نهانى

* * *

ووردُ ياقيس؟ وردٌ ماحفَلتَ به لقد ذَهلتَ فلم تحفلْ له شانا

« قيس : غاضبا »

تَعنين روجَكِ ياليلى

« ليلى : منكسة رأسها »

نعم

قيس : ومتى أحسنتِ وردا؟ترَى أحسنتهِ الآنا!

ليلى : فيمَ افتخارُك ؟

قيس : من كيدٍ فُجئتُ به

ليلى : إنى أراك أنا المهدى غيْرانا

وردٌ هوالزوجُ، فاعلمْ قيسُ أنله حقاً علىّ أؤدّيه وسلطانا

قيس : إذن تحايلتما ؟

ليلى : بل أنت تظلمنى فما أحبّ سواك القلبُ إنسانا

ولستُ بارحةً من داره أبدا حتى يُسرِّ حَنى فضلا و إحسانا

نحن الحرائرَ إن مال الزمانُ بنا لم نشكُ الا إلى الرحمن بلوانا

قيس : بل تذهبين معى !

ليلى : لا ، لا أحونُ له عهداً،فما حادعن عهدى ولاخانا

فتىً كنبعْ الصفا لم يحتلفْ خلُقاً ولا تلوّنَ كالفتيان ألوانا

« قيس : متهكماً »

أراكِ فى حبِّ وردٍ جِدَّ صادقةٍ وكان حبُّكِ لى زوراً و بهتانا

ليلى : قيس !

« قيس : صارخا »

أتركينى بلادُ الله واسعةٌ ! غداً أبدّلُ أحبابا وأوطانا

« يحاول أن يتركها فتمسك به ليلى »

ليلى : العقلَ يا قيس !

قيس : لا خَلّى الرداءَ دعى

« ثم تملت منها ويدفع الى سبيله »
« تاركا اياها باكية فى هيئة استعطاف »

ليلى : وارحمتاه لقيسٍ عاد ما كانا !

واهاً لقيسٍ وآهِ ما صنعا ؟ أكثرَ قيسٌ بلواى والوجعا

« تدخل عفراء »

عفراء عندى

عفراء: لبّيْكِ سيدتى الصبرَ واستدفعى به الجزعا

ليلى : لقد سمعتِ الحديث كيف إذن صبرى على ماجرى وماوقعا ؟

قلتُ لقيسٍ مقالَ مشفقةٍ لم يُلقِ بالاً له ولا سمِعا

وقيسُ ذو جِنّةٍ وإن زعموا جنونَه مدّعًى ومصطنعا

تحير الناسُ فى جنون فتى لا عقلَ الا بشعره لعا

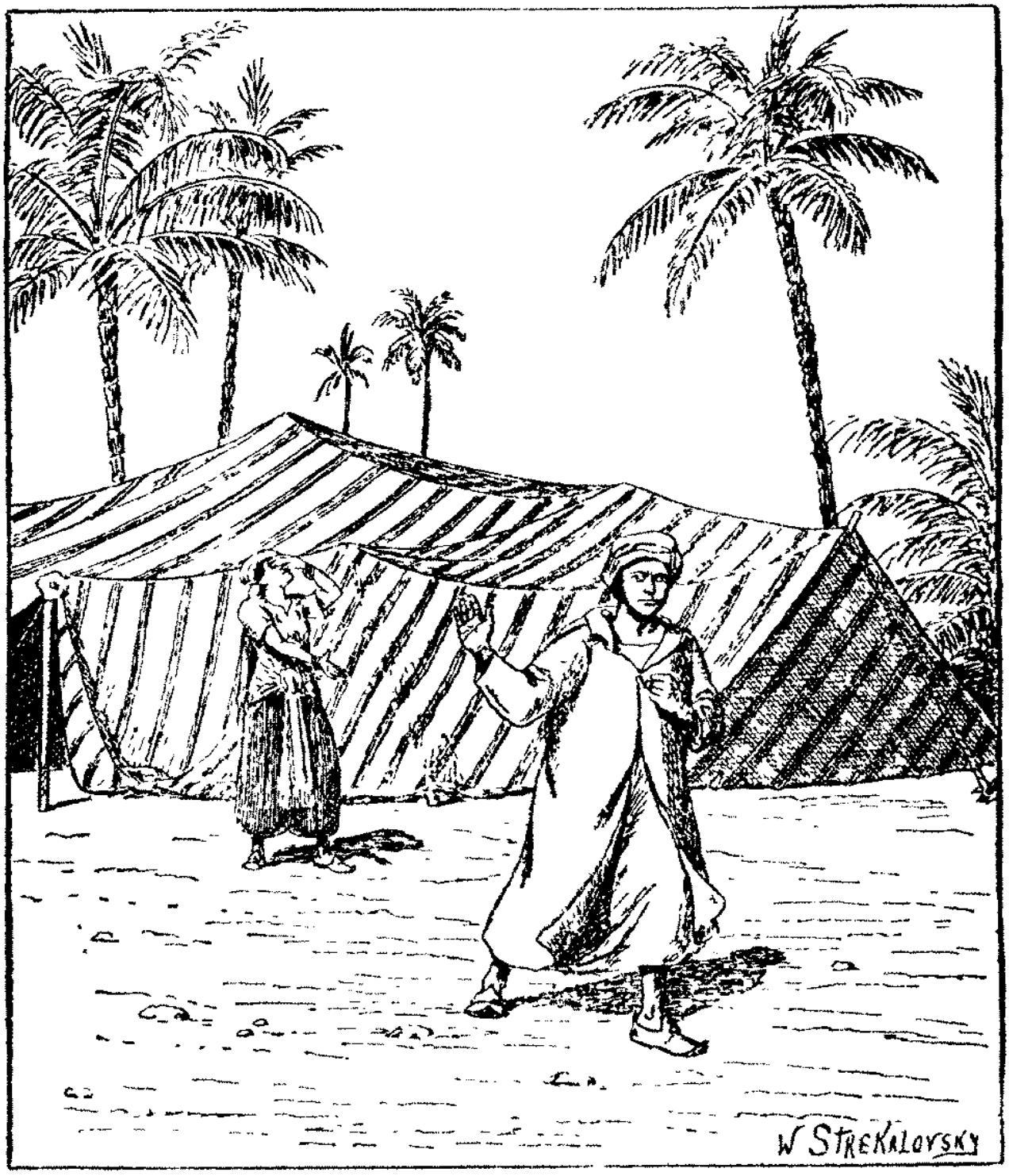

« . . . . اتركيني بلاد الله واسعة غـداً أبدل أحباباً وأوطاناً »

(صفحة ١٠١)

واللهِ لو حاء فى محاسـنةٍ يسألُ وردَ الطلاقَ ما منعا
فوردُ يا عفر لا كِفاءَ له مروءةً فى الرحال أو ورعا

آه من السقم

عفراء: ألفَ عافيةٍ

ليلى : آه من الحادثاتِ

عفراء : ألفَ لعا

ليلى : أناعُذريّةَ الهوى أحملُ العبْء وإن ناء بالصبابة جهـدى
المحبّاب ما بكيْن كدمعى فى اللبالى ولا أرِقن كسهدى
ويح قيسٍ وويحَ لى أى ثارٍ للمقادير عند قيسٍ وعندى
أتعب الحىّ داءُ قيسٍ ودائى وتعايى الدواءُ كُهّان نَجد
لا الحوامِمُ تصرفُ الجنّ عنا حين تُتلى وَلا رُقىَ السحر تُجدى
أبقيسٍ وبى هوى عبقرىٌّ يَسلُبُ العقلَ من ذويه ويُردى
عِلّةُ الميد من قديمٍ وداءٌ ضاعَ فيه الرُّقى وحار المُفدّى
ما سـلاحاه حين يقتلُ إلا من عفافٍ ومن وفاءٍ بعهد
لم تُعذّبْ بالحب عذراءُ قبلى كعذابى ولن تعذّبَ بعدى

عفراء: هى عـذراء ؟ ربىَ اشهدْ

ليلى : أجلْ عذراء حتى يصمَّنى ركنُ لحدى

عفراء: والذى أنتِ تحتَه ؟

ليلى : تحت بعل غيرِ ذى جَفوةٍ ولا مستبد

راعنى اللومُ من جميع النواحى فتواريْتُ فى مُروءةِ ورد

«يقبل ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول »

ربِّ ماذا سمِعت؟ ليلى شكورٌ لك نفسى الفِداء يا بنتَ مهدى

ليلى : ورد

ورد : لـيلى

ليلى : رُحمـــاكَ وردُ وعفـوا ـ

كنتُ أخفى الجوى فأصبحتُ ابدى

ورد : ما بليلى ؟ ما ذا أثارك ليلى ؟ هدئى روْعَكِ المُفزَّعَ هدِّى

ليلى : الداء يا ورد فىّ مجتهـد ملتهِمٌ هيكلى وما شبِعـا

أصبحتُ لا أشتهى الطعامَ ولا يَحمدُ جنبى الىّ مضطجعَا

قلبى من اليأس حين حلَّ به أحسُّ يا وردُ أنه انصدعا

لم يحمِلِ اليأسَ ساعةً ولقد كان بما حمّلوه مصطلِعا
المتمنى بالعيش منتفِعٌ ولن ترى يائساً به انتفعا
القدرُ اليومَ والقضاءُ على حربك قيسُ وحربى احتمعا

« ســـــتار »

الفصل الخامس

« مقابر على سفح جبل التوباد فى طريق عام على مقربة من حى بنى »
« عامر يبدو من بينها قبر جديد ما زال أشخاص من الحى يهيلون »
« عليه التراب ويضعون الأحجار ، ومن حوله كثير من رحال الحى »
« وفتيانه وصغاره يرى بينهم المهدى وورد وكلهم باك أو حزين — »
« يبدأ المشيعون فى الانصراف وهم يعزون المهدى ويصافحونه واحداً »
« بعد واحد ويمرون على ورد مرورا »

معز : إنا لله أنا ليلى

آخر : صبرٌ آبا ليلى جميل

« فى أثناء انصرافهم يمر رجل فى الطريق »
« فيسأل صبياً من صبيان الحى فى ناحية »

المار : قبرُ مَنْ يا صبى ؟

الصبي : قبرُها يا أبى

المار : إمرأة ؟

الصبى : نعم

المار : ومَن تكونُ ؟

« الصبي مشيرا الى المهدى »

بنتُ ذا الرجل

ليلى ابنـةُ المهدِى ألستَ من نجدِ ؟

صبي آخر : أجلْ قد دُفنتْ ليلى وما جفّ لها لَحْدُ

ودا الشيخ أبو ليلى ودا صاحبُهـا وردُ

هنا الوالدُ والروجُ

المـار : وقيس ؟

الصبى : لم يحىءْ بعد

« يقترب الرجل من المهدى فيعريه »

المـار : مَهدىْ أحملْ حزعا

معر : يا أبا ليلى جَمالَكْ

آخر : عَزاءً أبا ليـــــلى

آخر : عراءً أبا ليـلى

آخر : صبرٌ أبا ليلى جميل

« صديق من أصدقاء ورد هامسا اليه »

لقد أحسنتَ يا وردُ وما للناس إحسان

يُعزُّون أبا ليـلى وما عزّاكَ إنسان
بل انظُرْ تَرَهم أقسى عليك اليوم ما كانوا
على الأوجُه بغضاء وفى الأعيُن عُدوان

ورد : مهلاً أخى وانظُرْ الى النـــــاس بعين مُنصِفِ
هم يأخذون ما بدا ويتركون ما خفِى
ظنُّ الجماعات فىَّ سوءٌ ورأيُهم فىّ ما أصابا
يرَوْن أنى عدُوُّ قيسٍ أخذتُ ليلى منه اغتصابا
وزدنُ نفسيْهما شقاءً وزدنُ قلبيْهما عذابا
ليسألِ الناس قبر ليلى فان فى قبرها الجوابا

« يلتفت الى الهدى بعد أن يعزيه آخر معز »

تجمّلْ أبا ليلى

« الهدى — مصافحا إياه »

تجمّلت طاقتى ولستُ بخوّارٍ قليل التجلّدِ
حَمَلْتُ فُضولَ الناس يا وردُ حِقْبةً إذا قمت من باغٍ عَثرتُ بمُعتدِ
يعيشون فى عرضى فمن كل مِعوَلٍ ومن كل مِقراضٍ ومن كل مِبرَدِ

وهـذا يحيّيني ويقطعُ فرْوَتى وهذا يُفدّيني ويهدِمُ سؤدَدى
ويا ورد لولم تُرْخ ستراً على ابنتى لظلّتْ بعرضٍ فى البوادى مبدَّد
حَفِظتَ ابنتى حفظ الشقيق ومُرِّضتْ
ببيتك تمريض الصعير الممهَّد
وصيّرتَ ليلى فى حماكَ وخدرها كعذراءِ ديرٍ أو كدُمْية معبَد
لقد صنتَها يا وردُ فاذهبْ فما أنا بناسٍ لك المعروف أوجاحد اليدِ
وليلى فتاةٌ حُرةٌ بنتُ حرّةٍ أحبّتْ غلاماً سيّدا وابنَ سيّد
وأعلمُ أنى كنتُ حربَ هواها وكنتُ مع الواشى وعَوْنَ المفنّد

« ملتفت الى القبر باكيا »

بظل الله يا ليلى

ورد : وفى بحبوحة الخُلْدِ

وهـذا نَجدُ يا ليلى فنـامى فى ثرى نجدِ

« يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر »
« العريض المغنى والشاعر ابن سعيد وأميه وسعد »

العريض : دنا الحىُّ يابن سَعيد وثمّ

ابن سعيد : وما ثمّ ؟

الغريض : أنظر يُجبْك النظرْ

ابن سعيد : قبورٌ ؟

الغريض :

أجل عارضتْنا القصور وعما قليل يُجيرُ الحُفَرْ

ابن سعيد :

وهل نحن إلا على حُفْرَةٍ هى الأرضُ أوهى قبر الدَثر
محجّبةٌ بغرور الحياة يراها إذا غرغر المحتضَر

غريضُ: بصُرت بقبرٍ حديد

الغريض : وماذا سوى الموتِ فى ذا العَفَرْ ؟

ابن سعيد :

أخٌ كان يملأ أمسِ الهواء ويحيا الحياةَ ويجرى العُمُر
نزيلٌ لعمرى غريبُ الغِطاءِ غريبُ الوِطاءِ غريبُ الحُجَرْ
لدى منزلٍ كبيوتِ الكِرَاء مراراً حلا ومراراَ عَمَرْ
يُزارُ كثيراً فدون الكثير فغِبًّا فينسى كأن لم يُزَرْ
وليس بنافعه الواصلون وليس بصائره من هجَر
فيا ميْتَ أمسِ عدتْكَ الرياحُ وحيّاكَ فى الفترات المطر

وأمسِ كعادٍ وان كان منك ... مُطيفَ الحيال قريب الصُّوَر
لقد نفض الليلُ منك اليدينِ ... وأدرك فيك النهارُ الوَطَر
وأمسيتَ تحت لواءِ التراب ... قهرتَ القصاء ودست القدر
تلفَّتْ وراءكَ أين الغرورُ ... وأين السرورُ وأين الأشَر
وأين معالِمُ عُرْسِ الحياة ... وأين سنا ليله المزدَهِر
وأين شبابٌ كحُلْمِ العروسِ ... ضَحُوكُ العَشِيَّاتِ طَلْقُ البُكر
وأين العداواتُ من سافرٍ ... مُبينٍ ومن كاشحٍ مُسْتترِ
وأين المودَّاتُ من صُحْبةٍ ... كنحلٍ يَحُمْنَ وأنت الزَّهرَ
قليلون عند امتناعِ القِطَافِ ... كثيرون عند رجاء الثمر
وكم مَن سقَيْتَ بشَهْدِ الوداد ... فلم يَحْزِ الا بصابِ الإِبر
ودُقْ سِنَةً لا ككلِّ السِّنَاتِ ... ونمْ ليلةً مالها من سَحَر
وقُلْ للصديقِ طوَيْنَا الحديثَ ... وقلْ للعدوِّ دفنَّا الخبر
وهيِّئ مكانيْهما فى التراب ... فان ركابَهما مُنْتظَر

سعد : أميةُ ماذا ترى فى الغريض؟

أمية : وماذا أرى فى أميرِ الطرب؟

سعد : لقد علم الناسُ أن الغريضَ مُغنِّى الحِجازِ وشادى العربْ
ولـكن . . .

أمية : وماذا وراءَ « ولـكن ؟ » فمن شأنها أن تُثيرَ الرِّيَب

سعد : امىَّ اخفِضِ الصوتَ لايسمعَنَّ فيغضبَ فهو قريبُ العصب
وأُذْنُ المغنى تُحسُّ النسيمَ
وتَسمَعُ فى الكأسِ جرس الحَبَب

أميَةُ إنى أخافُ الغريضَ وإن التَّطَيُّرَ بى قد ذهب

أمية : وأين تَرى الشؤمَ حولَ العريض
وكيف ؟

سعد : رُويدكَ تدرِ السبب

أليس الغريضُ يَهيجُ البكاءَ فلو رام دمعَ العروسِ انسكب
ترعرع فى بيئةِ النائحاتِ وعلّمنه النَّدبَ حتى نَدَبْ
ينوحُ بيثربَ آلَ الرسولِ ويُذكِى مآتمَ أهلِ الحَسَبْ

أمية : وأين يدُ الشؤمِ مما ذكرتَ وأىَّ بلاءٍ علينا جَلَبْ
وما هو إلا مُغنّى الحياةِ بناحيتيها الأسى والطرب

سعد : ولـكننا قاصـدو عامرٍ لنقضيَ حقًّا لِقيس وجب
ونسألَ عن عاشقٍ فى الديارِ طويلِ البلاءِ ثقيل الوَصَبْ
ومن زار بالنائحات المريضَ وأهلَ المريضِ أضاع الأدب

« يهيأ الغريض للغناء »

هو ذا هاج شجُوه هو ذا يُرسلُ النَّغَمْ
هاتفٌ من نُواحِهِ رنّ فى القاعِ والأكَمْ
هو فى كلِّ حاطرٍ وفؤادٍ صَدَى الألم

« أنشودة الغريض »

وادىَ الموت سلامُ وسقَى القاعَ الغمامُ
السماء القُدْسُ محرابُكَ والأرضُ الحـــــرامُ
أنتَ فى الصَّمتِ مُبينٌ ومن الصَّمتِ كلامُ
لم يَمتْ أهلُكَ لكن غشِيَ الليلُ فناموا
غُيَّبٌ لم نَدر ما صاروا ولا أين أقاموا

« يخرجون الى ناحية الحى من حيث يسمع آخر »
« الانشودة ثم يدخل من الجانب الآخر على أثر »
« اختفائهم ، قيس وزياد »

قيس : جبلَ التَّوْباد حيَّاك الحيا وسقى اللهُ صبانا ورعى
فيكَ ناغينا الهوى فى مهده ورضَعْناه فكنتَ المُرضِعا
وحدَوْنا الشمسَ فى مَغرِبها وبكَرْنا فسبقنَا المَطلعا
وعلى سفحِكَ عِشنا زمنا ورعينا غنمَ الأهل معا
هذه الرّبوةُ كانت مَلْعبًا لشبابينا وكانت مَرْتعا
كم بنينْا من حصاها أربُعًا وانثنينا فمحونا الاربُعا
وخططْنا فى نقا الرمل فلم تحفَظِ الريحُ ولا الرملُ وعى
لم تزَلْ ليلى بعينى طفلةً لم تزِد عن أمسِ الا إصبَعا
ما لأحجارِكَ صُمًّا كلما هاج بى الشوقُ أبتْ أن تسمعا
كلما جئتُكَ راجعتُ الصِّبا فأبتْ أيامُه أن ترجِعا
قد يهونُ العُمُرُ الا ساعةً وتهونُ الأرضُ الا مَوْضعا

« يظهر بشر قادما الى المقبرة من ناحية الحى »

بشر : عزاءً قيسُ !

قيس : مَنْ ؟ بشرُ ؟

بشر : أجل

قيس : فيمن تعزِّينى ؟

أنا الميِّتُ يا بشرُ وإن أخِّرَ تكفيني

« يضطرب بشر وقد أدرك حهل قيس »

« وحرج الموقف ثم يميل هامسا الى زياد »

بشر : يجهَلُ قيسٌ موتَهـا ولم أَخَلْ أن يجهلَهْ

ويْحَ له وويْحَ لى ! ماذا عسى أقولُ لهْ

إن الحبيبَ نعيُـه الى المحب مُعضلهْ

إنى أخاف إن أنا خبّرْتُه أن أقتُلَـه

قيس : بشر

بشر : لَبّيك قيسُ

قيس : من أين يا بشرُ ؟

بشر : من الحىّ

قيس : ما حوادثُ عامرْ ؟

كيف أمى يا بشر ؟

بشر : برّحها الشوق

قيس : وأهلى . .

بشر : حنينهم متكاثر

قيس : ولِداتى من فتيةٍ وعذارى ؟

بشر : كلهم شيِّقٌ لعهدك ذاكر

قيس : كيف بيْتٌ لنا بمدرَجةِ الريح ونادٍ على النجوم وسامِر ؟
والنخيلاتُ كيف خلَّفتَها بشر

بشر :

كما هن باسقاتٌ نواضر

قيس :

ومِهارى التى تركتُ صِعاراً ؟

بشر :

كبِرت قيسُ فهى جُردٌ ضوامر

قيس :

عزّت البيدُ ، تُنبتُ السابق الفذَّ وتأتى بفارس وبشاعر !

« يضطرب بشر »

ويح بشرٍ ماذا به ؟

بشر : قيس !

قيس : بشر !

أنت فى نفسكَ الخفيّةِ ثائر

تُشبِهُ الحزنَ والبكى نبَراتٌ لك كانت كضاحكات المراهر

« بشر — الى نفسه ثم الى قيس »

ربِّ ماذا أُجيب ؟ لا شيءَ يا قيس . .

قيس : بل الحزنُ فى مُحيّاك طاهر

ولقد راعنى لك اليوم جِدٌّ من خليعِ العِذار بالأمسِ سادِر

« تمرورق عينا بشر بالدموع »

ماجرى؟ماالذى أثارك يابنَ العم؟ ما هذه الدموعُ البوادر ؟

بشر : قيس لا شيءَ

قيس : بل كتمتَ جليلاً

هذه وَحْمةُ النَّعِيّ المحاذر !

بشر : قيس . .

قيس : لا تَجِمْ ولاتُخفِ شيئا أنا يا بشرُ بالفجيعةِ شاعر

خُلِجتْ قبل نلتقى عينىَ اليسرى ورِيعَ الفؤادُ روْعةَ طائر

بشر : أعفِنى! أعفنى! بربك ماأنت على ما أقولُه لك قادر !

قيس : أماتت ؟

بشر : أحل قضتْ أمسِ . .

« قيس وهو — يعمى عليه »

واليلاه !

بشر : لله — ما أشـدّ المقـادر !

« يمضى بشر فى سبيله »

« زياد — مقتربا من قيس »

هو مغمىً عليه ربّ أيصحو؟ هل لهذا العذاب يا ربّ آخر؟

« يصحو قيس »

زياد : تباركتَ يا ربِّ قيسٌ أفاق ؟ صحتْ عينُ وصحا المسمعُ !

رجعتَ لنا قيس

قيس : هيهاتَ هيهات ! من كان فى الرّمْس لايرجِـع

لقد بقِيتْ خفْقةٌ فى السراج سـيلفِظها ثم لا يسْطع

زيادُ غداً يلتقى الموجَعون وموعِدنا ذلك البلقـع !

« يشير الى المقابر »

عرَفتُ القبورَ بعَرْف الرياح ودلّ على نفسـه الموْضِعُ

كشكلى تلمّسُ قبرَ ابنها الى القبر من نفسها تدْفع

هداها خيالُ ابنها فاهتدت ... وليلى الخيالُ الذى أَتبَع
لنا اللهُ يا قلب ! ليلاكَ لا ... نحيبُ وليلاىَ لا تسمع !
فُجِعنا بليلى ولم نك نحسَبُ ... يا قلبُ أنا بها نُفجع

« يقترب الى القبر باكياً ويكب بوجهه على حجر من أحجاره »

أَعيىّ هـذا مكانُ البكاء ... وهـذا مسيلُك يا أدمُعُ !
هنا جسمُ ليلى هنا رسمُها ... هنا رَمَقى فى الثرى المودَع
هنا فمُ ليلى الزَّكىُّ الصحو ... كُ يكادُ وراء البلى يلمَعُ
هنا سِحرُ جَفنٍ عَفاه الترابُ ... وكان الرُّقَى فيه لا تنفع
هنا من سنانى كتابٌ طواه ... وليس بناشره البلْقَع
هنا الحادثاتُ ، هنا الأملُ الحـ ... ـلوُ يا ليلَ ، والألمُ المُمتع
طريدَ المقادير هل مَن يُجيرُ ... كَ منها سوى الموتِ أو يمنع ؟
تَزِلُّ الحياةُ لسلطانها ... وللموت سلطانُها يخضَعُ
طَريدَ الحياةِ ألا تستقِرُّ ... ألا تستريحُ ، ألا تهجَع ؟
بَلى قد بلغتَ الى مَفزَعٍ ... وهـذا الترابُ هو المفزَع

« يطهر الاموى شيطانه من بعيد ويناديه »

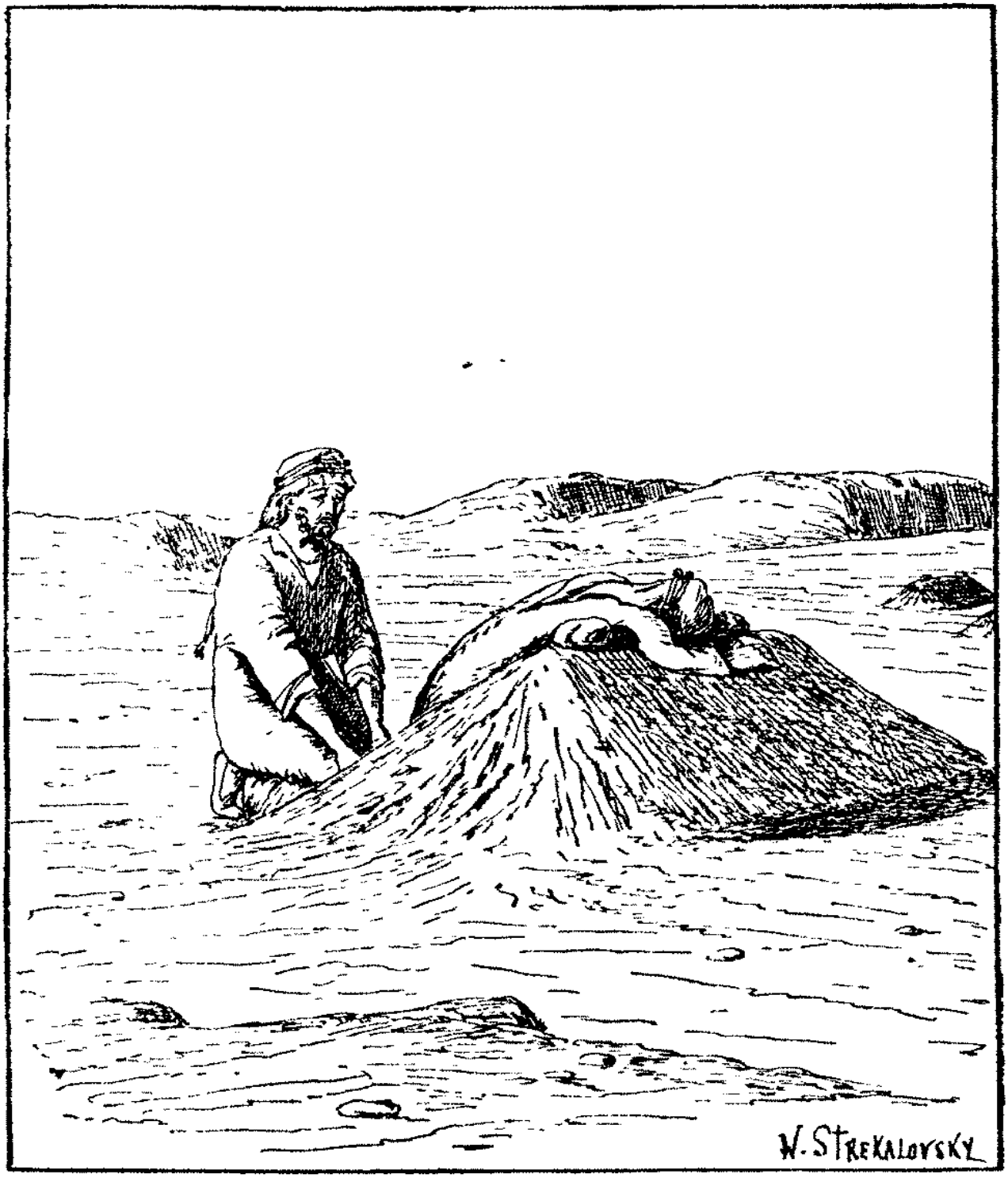

« أعينى هذا مكان البكاء وهذا مسيلك يا أدمع »

(صفحة ١١٩)

الاموى : قيسُ

قيس : مَن الهـاتِفُ من نادى الشريدَ المُطّرَحْ
الاموى : أنا الذى أوْحى اليكَ حُبَّ ليـلى واقترَحْ
قيس : إذهبْ وإن لم أدْرِ رُو حٌ أنت أم أنت شبَحْ
إذهبْ فلستَ صالحا وأىُّ شـيْطانِ صلُحْ
كنتَ قرينَ السوء لى وكنتَ شرَّ من نَصَحْ
لولاك ما بُحتُ بمـا خدّش ليلى وجرَح
كأنه فى عِرضها زيتٌ على الثوب سَرَح

الاموى : أفقْ قيسُ

قيس : سِرْ خَلِّنى ياخيـال ومَنْ بالخيال لمن لم ينَمْ

الاموى :

حنانيْكَ قيسُ أقِلَّ العتابَ ولا تَسكبنَّ دموعَ الندمْ
تفرّدْتَ بالألم العبقرىِّ وأنبغُ ما فى الحيـاة الألم
مُريبُك يا قيسُ فوق التراب وأنت مع النَّجمِ فوق التُّهَم
أخذتَ سبيلَك نحو الخلود وليس الخلودُ سبيلَ الأُمَم
قُم اهتِفْ بليلى وشَبِّبْ بها وخَلِّ التقاليدَ وانسَ الحُرَم

وطِرْ فى الهواء طليقَ الجناح ... وسِرْ فى الأديم طليقَ القدم
فلو أنصفَ الناسُ خلَّوْ كما ... كتَركِ الوفود حمامَ الحَرَمْ
قُم ابسُطْ جناحَك فوقَ القِفار ... وطِرْ فى الوهاد ، وقَعْ فى الأكم
واترِعْ من الوتر العبقرىِّ ... سَماءَ القصور وأرضَ الخِيَم
وألِّفْ على الحب شتّى القلوب ... وأرسِلْ بسرِّ الجمال النغم
تغَنَّ بليلى ونُحْ بالغرام ... وبُثْ الصبابةَ واشكُ السقَم
فلا خيرَ فى الحب حتى يَذيعَ ... ولا خيرَ فى الزهر حتى يَنِمْ

قيس : أقوم ؟ . . . . هات قدَما
أقول ؟ . . . . أعطى ما
أما ترانى هيكلاً محطماً مُهدَّما !

« يختفى الشيطان ويستمر قيس »

يارَبِّ قيسٍ هل نعيتُ وهل جرتْ ... كأسٌ تدورُ على النفوس مَشاعُ
أوْلا فما بالى أنوء بهيكل ... للموت فيه وللحياة صِراع ؟
اليومَ آذننا القضاء بحكمه ... مالى ولا لك ياحياةُ دفاع
راجعت فى الموت الحياةَ وعادنى ... فى النزْع يا ليلى اليك نِزاع

كيف الوَداعُ من الحياةولم يُتَحْ ... لىَ منك ياليلى الغداةَ وَداع
هيهات لم تعدِمْ شذاكِ قرارة ... حولى ولم يَعدِمْ سناكِ يَفاع
وعلى سماء البيد منكِ بشاشةٌ ... وعلى رمال البيد منكِ شُعاع
وكأن كل ضبابةٍ دون الضحى ... قسَماتُ وجهك دونَهن قناع

« يمر به ظبي سارح فيتامله قليلا ويناجيه »

ياظبى بَكٍّ من افتداكَ بماله ... إذ أنت عانٍ تُشتَرى وتُباع
وأباح طفلَك ماءه وطعامَه ... اذ هنّ عَطْشَى بالفَلاة جياع
ياقاعُ كن نعشى وكن كفنى وكن ... قبرى وقُمْ فى مأتمى ياقاع
واجمَعْ لتشييعى الظّبَاء، ومَنْ رأى ... ميتًا بأسراب الظباء يُشاع
أتُرى أموتُ كما حييت مُشرَّدًا ... لا الأهلُ من حولى ولا الأتباعُ
وأبيتُ وحدى لا الوحوشُ أوانسٌ ... حولى هناك ولا الظباء رِتاع ؟

« تتخاذل سيقان قيس فيتلقاه زياد ويظهر »
« ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعاً باكياً »

زياد : قيسُ لا بأسَ عليكْ ... أنا ذا بين يديكْ

قيس :

نفسُ اطمئنى الآن لستُ وحدى ... قد حضَر الذى يَخُطُّ لحدى

ويُرْشِدُ الحىَّ الىّ بَعـدى زيادُ أنتَ المُشْفقُ المفَدّى
لم أنفرِدْ الا رُؤيتَ عنـدى

« يتبين شبح ابن ذريح »

زيادُ ما داك منـــــذا يبكى وراءَ الضريحِ
إنى أعارُ على القـبر من عريبِ الجُروح

زياد : لا تخشَ يا قيسُ منه فانه ابنُ ذريحِ

ابن ذريح :

يا ليلَ قبرُك رَبوةُ الحُلْدِ نفَحَ النعيمُ بها ثرى نجدِ
فى كل ناحيةٍ أرى مَلَكا يتنفسون تنفُّسَ الورد
لبسوا الجُمانَ الرَّطْبَ أجنحةً وتناثروا كتناثُر العِقد
وتقابلوا فعلى تحيّتهم مِسْكُ السلام وعَنبرُ الرد
وكأن نجواهم وسُبحَتهم صَوْتُ الغمامة أوصَدَى الرعد
نفحاتُ طِيبٍ ههنا وهنا ما للرياض بهن من عهد
يا قيسُ صبرا ههنا مَلَكٌ ذِبْحُ الصبابة مُشْهَدُ الوجد
أصحُ انتبِهْ واطرَحْ بعينك فى بَهَج السماءِ وحُسْنِ ما تبدى

قيس : أين السماء وأين مُحتضَرٌ طلَعتْ عليه الأرضُ باللَّحْد

فى كل ناحية أرى ملكا يتنفسون تنفس الورد

(صفحة ١٢٤)

السهدُ عذّبنى وذى سِـنةٌ أجِدُ الشفاء بها من السُّهد
ولقـد أقولُ لمن يُبَشِّرُنى بالخُلد ما أنا داخلٌ وحدى
لو أن ليـلى فى النعيم معى أو فى الجحيم تساويا عندى
ليلى النعيمُ وقد ظفِرت بها فاليوم نرقُدُ فى ثرى نجـد
إنى أحبُّ وإن شقِيتُ به وطنى وأوْثِرهُ على الخُلد

« يسمع صوتا ضئيلا كأنما هو خارج من القبر »

الصوت : قيس
قيس : مَنِ الصوتُ ويحى أبى سِحرُ
الصوت : قيس
قيس : زيادُ اسمعْ وأصغِ يا بِشرُ
الصوت : قيس
قيس : سمعتُ اسمىَ يلفِظُه القبرُ
الصوت : قيس
قيس : تنادينى من قبرها باسمى
لبّيْكِ يا ليـلى بالروح والجسم

« يدخل فى دور الاحتضار الاخير »

هل أسى الموتُ حِراحينا وهل قرّب الدارَ وهل لمّ الشتاتْ؟

أصوات: قيس ، ليلى

قيس : رَنَّةٌ فى أُذُنى ردّدتْ قيسَ ولبلى الفلَواتْ

نحن فى الدنيا وإن لم تَرنا لم تمُتْ ليلى ولا المجنونُ مات

« ســـــتار الختام »

نظرات تحليلية

تمهيـــــــد

اختلف الرواة فى مجنون بنى عامر ، فى اسمه وفى شخصه ، وفى حياته وموته ، وفى قصة هواه أهى موضوعة . لها بها قوم وتداولها آخرون ، أم هى مأساة حقيقية ، ومهما يكن فقد أصبحت قصة المجنون فصلا خالدا فى تاريخ الأدب العربى فيه روح شعرية ناضرة ، تحدث الأجيال عن أسمى وأعلى مثل للغرام البدوى القوى العفيف وهذا ما يعنينا حيال هذه الرواية الجديدة

هيكل الرواية

اختار المؤلف لمجنون بنى عامر اسما واحدا من بين الأسماء الكثيرة التى اختلف فيها الرواة ، هو « قيس بن الملوّح » ثم كنّى عنه فى بضعة مواضع بأبى المهدى ، واختار لحياة قيس من بين رواياتها

المختلفة ، أسلسها وأجراها مع المنطق : أن قيسا وليلى نشآ فى بيتين من أشرف بيوت بنى عامر ، فتعارفا طفلين ، فتوادّا ، فاستحالت مودتهما غراما مع الأيام . ثم شبّ بها قيس فى شعره فحيل بينها و بينه نزولا على ما سوف ترى من سنة البادية ، فزفت إلى غيره ، فاتقد هواه واتقد حتى أشرف بعقله وجسمه على حال هى الجنون أو تكاد

فأما شرف بيتيهما فتراه حيث يتحدثون عن قيس فيقولون فى غير موضع واحد إنه «سيد من عامر وابن سادات» وحيث يتحدثون عن ليلى فيقولون عنها «عقيلة الحمى» و ينادون أباها «ياسيد الحمى»

وأما مودتهما طفلين فاليك عليها شاهدين من عدة شواهد تراهما فى كلام المجنون :

« فكم قبلة ياليل فى ميعة الصبا وقبل الهوى ليست بذات معان »
« أخذنا وأعطينا اذا لبهم ترتعى و إذ نحن خلف البهم مستتران »

***

« هذه الربوة كانت ملعباً لشبابينا وكانت مرتعاً »
« كم بنينا من حصاها أربعاً واثنينا فمحونا الأربعا »

« وخططنا فى نقا الرمل فلم تحفظ الريح ولا الرمل وعى »

« لم تزل ليلى بعينى طفلة لم تزد عن أمس الا إصبعا »

وأما هواهما ، وكيف حبل بينهما ، فأنظرنا قليلا نقص عليك بدأه فى شىء من التعميم والأطناب

لمحة سياسية

كان الحسين بن على كعبة القلوب والأبصار فى جزيرة العرب ، بعد أن قتل أبوه على ، ومات أخوه الحسن ، وانتهت خلافة الاسلام الى معاوية بن أبى سفيان

أصبح معاوية أمير المؤمنين ، وانداح السلطان عن بوادى العرب الى حواضر الشام ، واستقر الحكم الجديد فى دمشق تاركا مكة وما يليها تحت ولايه مروان بن الحكم فى هذا العصر عاش المجنون فى بادية نجد أو قيل إنه عاش

ما كان فى الحجاز وما يليه يومئذ مسلم يستطيع أن يبتسم للزمن الجديد وللدولة الجديدة ابتسامة من أعماق نفسه ، وهو يرى الدين الذى هشت له عاطفته وقلبه ، وامتلأ منه يقينه وإيمانه ، تعرض له

الدنيا التى أقبلت على دمشق محمولة على أسنة بنى أمية وأحلامهم فتنقله من حيث كان يراه هذا العربى فى مكة ميزان العدل وآية الزهد والورع ، الى حيث قدر له هذا العربى أن يكون فى دمشق ملكا دنيويا

وكذلك ظل الحسين قائما فى نفوس الناس هناك صورة مقدسة لبداوة الاسلام ، تستمد أنضر ألوانها من صلته القريبة بجده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بنوته لرجل كان أشد الناس زهدا واستصغارا لدنياه ، وكذلك ظهرت بلاد العرب وقلبها يخفق باسم الحسين ، ولسانها المعلول إما منافق يترضى الحاكم الجديد ، و إما خائف تسنح له الفرصة فيهتف باسم الحسين فى معزل عن العيون والأرصاد

قدّمَت ليلى الى أترابها فى مجلس من مجالس السمر ، ابن ذريح على أنه رضيع الحسين ، فادما من يثرب يشفع عندها لصديقه قيس . فالت عبلة لجارها بشر :

« أتسمع بشر : رضيع الحسين ، فديت الرضيعين والمرضعه »

« وأنت إذا ما ذكرنا تصامت . . . . . »

فانظر كيف يجيبها بشر وكأنه أهين :

« . . . . . لا حاهلا موضعه »

« ولكن أخاف امرأ أن يرى على التشيع أو يسمعه »

« أحب الحسين ولكنما لسانى عليه وقلبى معه »

« حبست لسانى عن مدحه حذار أمية أن تقطعه »

ثم ترى الحسين فى موكبه بين مكة والمدينة ، فاذا الحادى يغنى:

« يا نجد . . . . . »

« سر فى ركاب الغمام ليثرب »

« هذا الحسين الأمام ابن النبى »

وإذا عامل من عمال بنى أمية ، هو نصيب كاتب ابن عوف أمير الصدقات فى الحجاز ، ينسى فى جلالة هذا الموكب نفسه ومكانه من أمية ، فيجيب زيادا والغصب آخذ منه ، إذ يسأله « من لواء الموكب ؟ »

« قد بين الحادى فقل أصم أنت أم غبى »

« هذا منار العرب هذا الحسين ابن النبى »

« هـذا سنا جبينـه ملء الوهاد والربى »

وإذا ابن عوف أشـد من صاحبه حرصا على نفسه ومكانه من أمية ، وإذا هو أكثر منـه تقديرا لسلطانهم ؛ وكأنى بك وقد أشفقت على نصيب أن يصيبه غضب مولاه ، لـكن الواقع أن مولاه لا يغضب منه ولا يقسو عليه وإنما يكفيه فى أمره عتب تافه يهمس به اليه :

« نصيب صه لا تسلـكن بنا مسـالك التهم »

« إحذر جواسيس ابن هند وعيون ابن الحـكم »

وكأنه فى هذا العتب الهامس الرقيق يشارك عامله فى تقديس الحسين ، بل هو يجهر بهـذا الحب جهرا ضمنياً إذ يقول لزياد عن غيبوبة المجنون :

« زياد انظر فما أنفك صريع الوجد والذكرى »

« كما مر بنا الركب الحسينى به مرا »

« فلم يشغـل له بالا ولم يوقظ له فكرا »

ثم يعود نصيب فى موقف آخر فيذكر الحسين عائبا ، لـكنه

يذكره فى هذه المرة بينه و بين نفسه ، لا يخشى سطوة أمية ولا عتب ابن عوف « ولا عيون ابن الحكم » فتراه فى هذه المرة يلعن الزمن و يلعن الوطيفه إباء على مولاه أن يتشبه بالحسين فى الشفاعة لعاشق ، إذ يقول :

« يا دهر در بما تشا ويا حوادث اهزلى »
« ويا وطيفة اعزى ويا جراية ارحلى »
« يبغى ابن عوف أن يكو ن كالحسين ابن على ! »

وهنا تخرج ليلى أو يخيل اليك أنها خارجة عن تلك القاعدة التى وضعناها لسكان البادية ومنزلة الحسين من نفوسهم ، كما تخرج عنها فى قول ابن ذريح :

« ألأنى أنا شيعى وليلى أموية ؟ »

ويخرج معها قيس فى هذا البيت ، أو كذلك يخيل اليك :

« ليلى على دين قيس فحيث مال تميل »

على أنه بالرغم من كل ما ذكرنا فى هذه اللمحة السياسية ، يجب أن نعود فنقول إن هذا التشيع الحزبى لم يكن له أثر كبير فى

حياة أولئك العرب البادين ، ولم يظهر فى الرواية الا فى هـذه بضعة مواقف ، ثم غطاه المؤلف بنزعة أقوى منـه أثرا فى حياة قاطن الصحراء ، نزعة تعبر عنها ليلى اذ تقول :

« ولم نصطدم بهموم الحياة ولم ندر لولا الهوى ماهيه »

ويعبر عنها زياد إذ يقول :

« سيطر الحب على دنيا كمو كل شىء ماحلا الحب عبث »

عادات العرب

أظهر ما يضرب العين فى هـذه الرواية من عادات العرب تلك السنة التى جروا عليها أن يحولوا بين العاشق ومعشوقته إذا شبب بها وأعلن هواه والتى يقدمها المؤلف فى أكثر من موضع يقول فى أحدها

« ومن عادة البيد نفض الأكف من العاشقين إذا شببوا »

والتى يعللها لك المؤلف بحشية العار والفصيحة فى أكثر من موضع كذلك يقول فى أحدها والحديث عن ليلى بين قيس وشيطانه :

« لولاك ما بحت بما حدش ليلى وجرخ »

« كأنه فى عرضها زيت على الثوب سرح »

والمؤلف يرجع بهذه السنة الى شرع جاهلى قديم ، ترى أقوى الشواهد عليه فى قوله إن ليلى إذ ضربت بعرامها الأرض إنما كانت :

« تصون القديم وترعى الرميم وتعطى التقاليد ما توجب »

« وبالجاهلية إعجابها . . . . . »

ثم ينحدر المؤلف بهذه السنة قوية مع الزمن حتى تعرض لها حضارة الاسلام فتوهن من قوتها ، وترسل فى جبروتها نفحة من روح التسامح ، تهمس تارة على شفتى رجل مجهول أن ليلى إذا كان إعجابها بالجاهلية فقد « قل بالسلف المعجب » وتنادى جى ليلى تارة على لسان شخص آخر :

« هبوه حن بليلى ليس العرام بجرم »

ثم تتغنى تارة أخرى على ألسنة الصغار :

« إيه يا شاعر نجد ونجى الظبيات »

« أضمر الحب وأبد لأعف الفتيات »

ثم تتحرك هذه الروح فتستشفع الحسين فى عاشق ، وتستشفع

بن عوف فى عاشق آخر ، ثم تقوى هـذه الروح فتسلط الندم والعذاب والتعاسة على هذه الفتاة التى « تصون القديم وترعى الرميم وتعطى التقاليد ما توحب » تجعلها « مأمورة يقود لسانها شيطان » وطعينة « بسكين من العـادة والوهم » وتتركها فى بيت « هو القبر حوى ميتين حارين على الرغم » ثم تسلط عليهـا الداء « يلتهم هيكلها » واليأس « يصدع قلبها » والموت يسلبها الحياة

على أن هذه الروح الجديدة التى دبت فى عتق هذه التقاليد لم تزلزل سلطانها جميعاً ، وحسبك ما رأيت من هدر دماء قيس ترضية لهـذه التقاليد حتى تعلم أن هذه الروح كانت فى مولدها تعمل عملها لبطىء فى سكون

ثم يتلو هذه العادة سلسلة من أحواتها الصغار منها اسـتدفاع لحذر بنداء الحبيب ، وعلاح الغيبوبة بالتكبير فى أذن المعمى عليه ، وإيقاد النار وراء الضيف الثقيل وفى هذه يقول ابن عوف :

« نزلت فلم أكرم فهل أنت متبعى وقومك نار الطرد حين أميل »

ومنها تصفيق المسافر وارتداؤه الثوب مقلوباً إذا ضل الطريق ،

ومنها ـ وتقرر هذه العادة بشيء من التحفظ — إطلاق الحرية للفتاة فى اختيار القرين كما يبدو فى قول المهدى لفتاته

« هو الحكم يا ليلى ما تحكمين خذى فى الخطاب وفى فصله »

فقد تكون ثقة الرجل من رأيها وقوتها وحرصها على حرمة التقاليد ، هى التى جعلته يقامر مطمئناً بهذا الاطلاق ، وقد يكون هذا التحفظ لا محل له اذا وضعناه فى الميزان مع قول من يقول :

« وليلى ابنة الشيخ مارأيها اما من حساب لها يحسب »

حياة البادية

فى هذه الرواية صور متفرقة من السهل أن نؤلف منها يوماً من أيام البادية بسيط المطامع فى حاه الحياة . . . ماذا يفعل البدوى فى يومه هذا وما هو الا ظل مصغر من حياته جميعاً ؟ يأكل من طعامه البسيط وتسميه هند « ما طهت الماشية » ويبسط لك المؤلف أحفل موائد هذا الطعام البسيط فى قول المهدى :

« هو الضيف ياليلى هاتى الرطب

وهاتى الشواء وهاتى الحلب »

« وهاتى من الشهـد ما يشتهى

ومن سمنـة الحى ما يطلب »

ثم يرعى قطعانه يأكل منها ويكتسى من صوفها بما تغزل يداه ثم يصيد أحياناً لرياضته وأحياناً لطعامه وأحياناً ليدفع عن نفسه ضراوة الوحوش وفى ذلك تقول لبلى :

« وآناً نحف لصـيد الظبا ء وآناً الى الأسد الضارية »

ثم يحب وسنعرض لهذا الحب بعد قليل ، ثم يؤمن بالدين والجن والسحر وتراها مجتمعة على لسان ليلى إذ تقول :

« لا الحواميم تصرف الجن عنا حين تتلى ولا رقى السحر تجدى »

ثم أخيراً يحرص على شرفه وعرضه ، ويدفع عنهما بالروح بغى الآثمين ، وخير ما يبدو لك هـذا العنصر القوى فى حياة البدوى عند ما ينادى المهدىٌ رجل من رجال الحى :

« ذد عن عقيـلة الحمى وامنع حياض الترف »

« نحن كعثمان وليـلى بيننـا كالصحف »

غرام البادية

تتحدث ليلى عن البادية فتقول لابن ذريح :

« أكنت من الدور أو فى القصور ترى هذه القبة الصافيه »
« كأن النجوم على صدرها قلائد ماس على غانيه »

ثم تستأنف حديثها فتقول :

« لها قبلة الشمس عند البروع وللحضر القبلة الثانيه »

وتتحدث هند عن هذه البادية نفسها فتقول :

« كفى يا ابنة الخال هذا الحرير كثير على الرمة البالية »
« تأمل ترى البيد يابن ذريح كمقبرة وحشة خاويه »
« سئمنا من البيد يابن ذريح ومن هذه العيشة الجافيه »
« ومن موقد النار فى موضع ومن حالب الشاة فى ناحيه »
« وراغية من رواء الخيام تجيب من الكلأ الثاغيه »
« وأنعم بيثرب أو بالعراق أو الشام فى الغرف العاليه »
« مغنيكمو معبد والغريض وقينتنا الضبع العاويه »

« وقد تأكلون فنون الطهاة ونأكل ما طهت الماشيه »

وشيء واحد فى حياتى هاتين الفتاتين يعزى اليه هذا التناقض البيّن فى الرأى والتقدير ، أن ليلى فتاة محبوبة ، وأن هنداً ... ليست هند كما أرادها المؤلف الا قلباً مغلقاً لم تمسس قفله يد الساحر !

أولئك قوم من سكان البادية يعيشون فى هذا العالم المنبسط ، بين سمائه الصافية ورماله المترامية وأفقه البعيد ، كأنما يعيشون فى فراغ يمثلون فيه قصة صغيرة موجزة من قصص البشرية الأولى حيث القلب خلى والمطمع ضئيل واللهو ساذج والرزق محدود ، حيث تمر الحياة كأنها فى بساطتها وتكرارها وتشابه مناظرها بياض نهار وسواد ليل ، نهار ممل وليل مضجر طويل ، ودون هذا وتحس هند أنها تعيش فى قبر تتغنى الضباع العاوية فيه !

فى وسط هذا الملل والضجر قد يتفتح قلب البدوى للهوى ، فاذا هو الهم الشاغل والفصل الحافل فى حياة البدوى ان لم يكن حياته كلها ،

لقد يمنح الحصرى لهواه ركنا من قلبه الزاخر بهموم الحضارة وأطماعها ولهوها ولعبها ودنياها ، يمنحه هذا الركن منحة ، وهو

واثق أنه الركن الضيق المنزوى ، وأنه الركن الذى تصيبه فواجع التضحية بين العاطفة والمادة .

أما البدوى فلا يمنح من قلبه لهواه شيئا وإنما يسلمه هـذا الهوى من قلبه كل شىء ، كلما عر فيه المال ، وما أكثر ما يعز منال الهوى فى البادية ، كلما اندفع صاحبه وراءه اندفاع المتكالب المجنون

فهل من عجب بعد ذلك أن ترى ليلى البادية ما تراها ، وهل من عجب أن تقول عن نفسها وقومها :

« ولم نصطدم بهموم الحيـاة ولم ندر لولا الهوى ماهيـه »

« ويقتلنا العشق والحاضرات يقمن من العشق فى عافيه »

وهل من عجب أن يخامر هذا الداء قيساً فيقول :

« سجا الليل حتى هاج لى الشـعر والهوى

وما البيـــد الا الليل والشعر والحب »

« ملأت سماء البيد عشقاً وأرضها

وحملت وحـدى ذلك العشق يا رب »

دع هـذا الهوى فى قلوب أصحابه يزخر ويتقد ، وعد بنا إلى البادية . . .

ما طنك بأرض يصخم فيها كل شيء ، يزأر الأسد فيرعد زئيره ، ويخفق القلب فيقل خفوقه ، ويعثر العاشق عثرة لسان — كما تعثر لسان قيس بليلة الغيل — فاذا عثرته فصيحة تذل قبيلة وتملأ بذلها أفواه الكبار والصغار ؟ . . . ثم أخيراً ما طنك بحب يعيش فى هذا المحيط ؟ أيستطيع هذا الحب الا أن يكون « عذريا » تحار الرقى فيه ؟ أيستطيع هذا الحب الا أن يعف ويتصوف حتى تفتح له نافذة فى هذه الأقفاص ؟

قيس

ليست حياة قيس فى الرواية إلا زفرة متصلة تتردد فى قلب مغرم جريح

ولكنا نعرض لقيس من ناحية أخرى ، قد تكون عارضا على حياته لا يدله فيه ، وقد تكون فى حياته صدى هذا الهوى المجاح ، نعرض له من حيث اتهم بالجنون ولقب به ، لنرى حظه من حقيقة العقل أو حقيقة الجنون

الناس يصمون قيسا بالجنون أحيانا ، ثم يستقذونه من هذا

الجنون أحيانا ثم يأخذهم فى أمره كثير من الشك والحيرة أحيانا أخرى ، وهم فى هذه الثلاثة الأحوال يتحدثون عن قيس فى شىء من يقين الواثق بصدق ما يقول . والمؤلف حفظه الله أشار الى ذلك ، أنظر الى منازل يقول عنه لزياد :

« تؤدنى زياد وأنت ظل لمحنون وراوية لهاذى »

ثم يعود مرة أخرى فيسأل الناس :

« إن قيسا كامل فى عقله أو آنستم على قيس الحنون ؟ »

فيجيبه الناس مقسمين : « لا ورب البيت »

وتراه فى مرة ثالثة حائرا فى أمر قيس يتحدث عنه فيقول :

« نشرد مستعطما فى البلاد وجن فما ازداد الا نهى »

بل مالى استشير لك خصوم قيس فى عقل قيس ، اليك ليلى نفسها ، إنها فى موضع واحد تقرر من عقل قيس ما يقرر الناس ، وتنفى عنه ما ينفون وتحار فيه كما يحارون إذ تقول :

« وقيس ذوحنة و إن زعموا جنونه مدعى ومصطنعا »

« تحير الناس فى جنون فتى لا عقل الا بشعره ولِعا »

وهذا قيس كذلك يقول مرة :

« من مبلغ أمى الحزينة أن عقلى اليوم ثاب »

وفى مرة أخرى يقول :

« عساهم لا يقولون فتى مشترك اللب »

وفى موضع آخر يقول ويحار فى أمر نفسه كما يحار فيه الناس :

« ليلى نداء بليلى رن فى أذنى . . . . . »

« ليلى لعلى مجنون يخيل لى لا الحى نادوا على ليلى ولا نودوا »

بعد تلك الاشارة نظر المؤلف الى ما يصدر عن قيس من أفعال وأعمال

فى الفصل الأول أغمى على قيس بين يدى ليلاه مرة ، فى لحظة تحرجها خشية الأب ، ولذعة النار ولقاء الحبيب فى معزل . . . وقبل هـذا الاغماء كان قيس يتحدث لليلى حديث العاشق العاقل ، فأحس أن عينيه قد عامتا ، وأن ساقيه لاتحملان جسده ، ثم أخذته الغيبوبة فظل أسيرها لحظات حتى أفاق

« كالفنن الذاوى نحولا وكالمعيب اصفراراً »

فاذا صحا عاد فتحدث الى المهدى حديث العاقل وجادله جدال العاقل لا يكدر صفاء عقله وسواس من وساوس الجنون

وفى الفصل الثانى أعمى على قيس للمرة الثانية ، فى لحظة حرجة أخرى ، أحرجتها لوعة الذكرى كما أحرجها عذاب النفس ، كما أحرجها نعى الصغار . . . وقبل هذا الاغماء كذلك كان قيس يحدث نفسه حديث العاقل ، يقدر الاساءه اليه ، و يقدر شخص المسىء ، و يعفو عن هذه الاساءة كما يعفو العاقل العفور الرحيم .

« قيس لا ـ سامح صغاراً لا يحسون الخطيئه »

« انهم فيما أتوه ببعاوات بريئه »

« لقنوها كلمات نزهات أو بذيئه »

ثم تأخذه الغيبوبة فينسى ما حوله ، و يطل أسيرها لحظات حتى يفيق منها فيتحدث عن هواه حديث المحب العاقل يسمع اسم ليلى على ألسنة الناس فيمار و يناقش و يحيل اليه عند ما ينتهى رنين الصوت فى أذنه ، أن هذا الصوت لم يكن إلا هذيان اغماء

« ليلى . . . . . »

« هل المنادون أهلوها و إحوتها أم المنـادون عشاق معاميـد »
« إن يشركونى فى ليلى فلا رجعت جبال نجد لهم صوتا ولا البيد »
« أغير ليلاى نادوا أم بها هتفوا فداء ليلى الليالى الخرد الغيد »
« . . . . . »
« ليلى لعلى مجنون يخيـل لى لا الحى نادوا على ليلى ولا نودوا »

وفى الفصل الثالث يغمى على قيس للمرة الثالثـة ، فى لحظة أخرى أحرجتها خشية الموت وخشية القتل . . . وقبل هذه العيبوبة كذلك كان قيس يناجى ليلى وحيّها مناجاة العـاقل ويقرر وينفى ويناقش فى منطق سليم ، ثم تدركه النوبة ويعوده الاغماء ، وقبيل أن يتمكن منـه يرى ما لا يراه الناس فى حى ليلى ، يراها هى ولا يحقق غيرها وإن كثر لدى حماها السواد ، وما فى حى ليلى سوى سـيوف مسلولة وأسود مغضبه ، تترقبه لتشرب من دمه وتنتقم منه لقداسة التقاليد ، ثم « يتصـل ويصفر به مثـل الجرادة » ويكاد يهوى إلى الأرض فيتلقـاه زياد ، وتأخذه الغيبوبة المعهودة ولا نستطيع أن نتعقبه عند ما يفيق

ثم يكون الفصل الرابع فنرى قيسا على مقربة من دار ليـلى ،

وحيها الجديد ، وفى لحظة لا بد أن تكون هى الأخرى كأخواتها حرجة ، يحرجها الجهد والتعاسة ووعثاء السفر ، وتوقع لقاء الحبيب ، نراه يتصور صورا لا يمكن أن تخطر فى خيال عاقل ، فهو يرى الجن ويصفهم ويتحدث معهم ، ويقول لأحدهم :

« ما أنت إلا صوره فى عصبى مصوره »
« وعبث لو كان عقـــــلى حاضرا لأنكره »

ثم يسترد عقله الكامل بعد هذه الأزمة الحرجة فيناجز غريمه فى لبلى مناحزة العاقل ، ويتهكم عليه تهكم العاقل ، ويناقشه مناقشة العاقل ، ويغار منه غيرة العاقل ، ثم يسلمه غريمه الى ليـلاه ، فاذا حديثه اليها حديث العاقل كذلك ، وادا نجواه منها فى دائرة المنطق السليم ، وإذا غيرته كذلك وغضبـه وكل ما يفعل لا تصدر الا عن محب عاقل غيور

ثم يكون احتضاره فى الفصل الخامس ، حيث يسمع مالايسمع الناس ويرى مالا يرى الناس وما يعنينا هذا الاحتضار أن نعقل فيه أولا يعقل ، فقد يهـذى كل محتضر ويخلط ، وحسبنا مادة للبحث

تلك الفترات القصار التى كانت تتصع نفيس وعقله الى مكان بين بين، لا هو من الموت ولا هو من الحياة

أية صورة من صور العافية أو أية صورة من صور الجنون الذى يعتاد سواد الناس ، تستطيع أن تعطى حيرة الناس فى أمر قيس ، وحيرته فى أمر نفسه ، وتلك الأدوار المتناقضة فى هذه الحياة المضطربة صحو يكون العقل والحواس والحركات فيه أصفى وأسلم ما تكون العقول والحواس والحركات ، ثم غيبوبة يختلط فيها العقل وتنطلق الحواس وتشل الحركات ، ثم كذلك دواليك حتى تنطفىء هذه الحياه ؟ ؟

لاشىء من صور الصحه ولاشىء من صور الجنون ، يستطيع أن يغطى هذه الظواهر ، انما الذى يعطيها ويشتملها جميعاً هو المرض والمرض أنواع .

قيس إذن فى نظر المؤلف رجل عاقل مريض ، بالغ الهوى له فى وطأة الداء ، وليس ضلال الناس فيه ، وليس ضلاله فى نفسه إلا جهلا بهذا الداء كيف يكون ، وتسمية له بأقرب الأسماء اتصالا بهذه

الحياة المضطربة ، فى رأس هـذا البدوى الجاهل بضروب العلل والأدواء ، وأى الأسماء فى هذا الرأس أقرب اتصالا بهذه الحياة من ذلك الاسم القديم المعروف . . . الجنون ؟ ؟ كما أن ضعفه وهزاله كما يبدوان لك — أظهر ما يبدوان — فى قوله عن نفسه :

« أنا الميت يا بنير وإن أخر تكفيى »

ليس هذا الضعف والهزال الا مزيجا من وقدة العاطفة ورمنة الداء

ومن السهل بعد هذا أن تتعقب أخلاق قيس فى الرواية ، إباءه وعزته ، ورفعته وسماحته ، وأثرته وغيرته ، وليست كلها إلا صورة لأخلاق شاعر محب مريض .

ليـــــلى

تتلخص حياة ليلى وحبها فى هذه الـكلمات :

« أنا بين انثيين كلتاهما النار . . . . . »

« بين حرصى على قداسة عرضى واحتفاظى بمن أحب وضنى »

فأما أنها كانت تحب قيسا فقد ظلت تعترف بهذا الحب طول

الرواية تارة بينها و بين قيس ، وتارة أخرى بينها و بين الناس ، وأما أنها كانت تحمل من هواها ما يحمل قيس من هواه ، وتصون منه ما يصون ، فهى و إن ألحت فى التصريح به ، فقد كان سلطان التقاليد البدوية عليها أقوى من سلطان هذا الغرام ، وقد رضيت أن تقتل نفسها وتقتل هواها وتخيب فى قيس شفاعة الشافعين حرصاً على حرمة هذه التقاليد

ولقد تختلط هذه الحقيقة المؤكدة بكلمة نطقت بها ليلى ، إذ يقول لها أبوها وقيس مغمى عليه فى داره ، وليلى تستنصر له وتستغيث « يرانا الناس ياليلى » فتجيبه « أب أنف الناس من فكرك »

كذلك تبدو ليلى كأنما تحتقر الناس وما يقولون ، لكنها لا تلبث أن تستدرك هذه العثرة فتقول ، وتخشى من سلطان التقاليد ما كانت دائما تخشاه :

« هنا لا تقع العين على غيرى ولا غيرك ! »

والى جانب هذا الحرص على كرامة التقاليد منحها المؤلف قوة فى الرأى وعناداً فيه ، قد يكونان أثر هذا الحرص فى نفسها وتراها حيث يقول عنها قائل :

« أراها وان لم تخط الشباب عجوزا على الرأى.لا تغلب.»

وحيث يستغل أبوها فى نفسها هذه القوة ، فيدارى ابن عوف على حسابها ، ويطلق لابنته الحرية أن تتروج من قيس أو من سواه ، وهو مؤمن كل الايمان بقرارها الأخير . وحيث يستعل زوجها ورد فى نفسها هذه القوة كذلك فيفتح بيته لغريمه راضياً ، ويترك شرفه تحت رحمة هـذا الغريم راضياً ، وهو موقن كل اليقين أن شرفه — ومن دونه هذه القوة — مصون لا يختى عليه عدوان . وحيث تبرهن ليلى على هـذه القوة الـكامنة فى نفسها برهاناً قوياً فى آخر مواقفها وقيس ، ترى فيه مورد الهوى صافياً ممهد السبيل ، ثم تأباه على نفسها ، وتموت عطشى حرصاً على العرض والشرف وكرامة التقاليد .

المهـــــــدى

هذا الرحل طريدة أخرى من طرائد التقاليد البدوية فى هذه الرواية ، لـكن طاعته إياها رزينة لا تعرف العنف ، طاعة تخفف منها عاطفة الحنان على ابنته إذ يقول :

« أخاف الناس فى أمرى وأخشى الناس فى أمرك »

« وكم داريت يا ليلى وكم مهدت من عذرك »

وعاطفة الرفق بشاب من ذويه زلت به هذه التقاليد إذ يقول :

« دم الود والقربى وإن كان ظالما عزيز علينا أن نراه يسيل »

مطبعة مصطفى محمد
١٩١٦ / ٣١ / ١٠٠٠ر١٠

To: www.al-mostafa.com